الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلم
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

محاضرات في تاريخ
الحركة الوطنية الجزائرية
1919 - 1954م.

مطبوعة أكاديمية موجهة لطلبة السنة الثالثة

السداسي الخامس

إعداد الدكتور / عبد القادر خليفي

السنة الجامعية: 2019م – 2020م

بطـاقة معلومـات

المستوى الدراسي: السنة الثالثة تاريخ عام

السداسي: الخامس

تصنيف الوحدة: وحدات التعليم الأساسية

اسم المادة: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 – 1954م

الحجم الساعي: 45 ساعة خلال السداسي

الرصيد: 05

المعامل: 02

طريقة التقييم: أعمال موجهة + امتحان

أهداف التعليم:

- تمكين الطالب من التعرف على أهم مظاهر الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى.
- إدراك مختلف الاتجاهات ومرتكزات كل اتجاه.
- أبراز السياسة الاستعمارية في التعاطي مع نضال الحركة الوطنية
- توضيح دور الأنشطة النضالية في الدفع إلى تفجير ثورة أول نوفمبر
- التعرف على رموز وقيادات الحركة الوطنية بمختلف مشاربها.

محتوى المادة/

- مدخل مفاهيمي.
- تيارات الحركة الوطنية الأيديولوجيات والشخصيات

- الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية 1939 – 1945م
- مجازر الثامن ماي 1945م وتداعياتها.
- إعادة بناء الحركة الوطنية: التحولات والأطروحات.
- قانون 20 سبتمبر 1947م: المضمون والمواقف.
- المنظمة الخاصة ونشاطها.
- أزمة الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية.
- اللجنة الثورية للوحدة والعمل.

المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي حول الحركة الوطنية الجزائرية:

تمهيد

إن تقديم مقاربة لمفهوم الحركة الوطنية، وإلقاء الضوء على التفسيرات الفرنسية المتعلقة بميلادها تبدو لنا مسألة هامة، بل ضرورية لإدراك طبيعة هذه التجربة الجزائرية، ويدفعنا إلى ذلك أيضا، كون المصطلح ليس واضحا بدقة في أذهان الكثير من طلبتنا، وهي حقيقة لا مراء فيها ومن ثمة، كان لزاما تحديد المفهوم، وإبراز الخصوصية النضالية، والتعرف على التحديات الحقيقية التي كان يتعين على نخب وفصائل الحركة الوطنية مواجهتها على امتداد المسيرة، التي اتسمت بالثراء والتنوع، في مواجهة أنموذج كولونيالي، يكاد يكون متفردا.

مما لاشك فيه، أن ميلاد المصطلح يرتبط بالسيطرة الاستعمارية، التي عملت بكل قوتها من أجل قتل الفكرة الوطنية في نفوس أبناء المستعمرات، حتى وإن كان ذلك الأمر قد تم بمستويات تدميرية متفاوتة بين الجغرافيات والشعوب، التي كانت ضحية للهجمة الاحتلالية الغربية.

ولما كانت الجزائر قد استهدفت بأخطر مشروع استعماري، بعدما فقدت سيادتها الوطنية اعتبارا من توقيع معاهدة الاستسلام بين الداي حسين، وقائد الحملة الفرنسية الكونت دي بورمون de Bourmont في الخامس جويلية 1830م، فإن ردود الفعل الوطنية الأولى على ذلك تجسد حراكا وطنيا، ففي هذا الصدد، يكتب المؤرخ أبي القاسم سعد الله: " عندما أمضت حكومة الداي الجزائرية اتفاق جويلية 1830 بدأت المقاومة الجزائرية، فقد نظّم الجزائريون بزعامة حمدان بن عثمان خوجة أول حزب وطني سياسي، يعرف بلجنة المغاربة ".[1]

مقاربة المفهوم:

إن القاعدة الأساسية لمفهوم الحركة الوطنية هي المجابهة والرفض والتصدي لكل غزو أجنبي بهدف تعرية الاحتلال، ورفض إعطائه الشرعية.

[1] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 27.

لقد تعددت تصنيفات الحركة الوطنية الجزائرية،وهذه التصنيفات تحددها المرجعيات التي تصدت لهذه المسألة بالدراسة، فالمرجعيات الغربية ولاسيما الفرنسية منها تعتبر الحركة نتاج المخاض الذي صاحب وأعقب المواجهة الامبريالية الأولى، وكانت نقطة انطلاقه نشاطات الأمير خالد ولعل من أنصار هذا التوجه، نجد المؤرخ محفوظ قداش.[1]

يقول قداش:" نستكشف مسيرة الحركة الوطنية انطلاقا من تحليل الحياة السياسية في الفترة الممتدة من 1919 إلى 1951م، فهذان التاريخان سجل الأول منهما نهاية الحرب العالمية الأولى وميزته خيبة أمل النخب الجزائرية، التي لم تتوصل إلى تحقيق المطالب البسيطة التي كانت لها الجرأة في التعبير عنها كما ميّزه بروز البوادر الأولى للحركة الوطنية الجزائرية، أما التاريخ الثاني فيمكن اعتباره كنهاية وهم حل المشكلة الجزائرية بالعمل السياسي السلمي في إطار الشرعية الاستعمارية ".[2]

ويؤيد هذا الاتجاه روجي لوتورنو Roger le Tourneau، ففي تقديره، فإنه إلى غاية عام 1930 لا يمكن الحديث عن حركة سياسية بالجزائر تضم معارضة سياسية بالمعنى العصري.[3]

أما الاتجاه الثاني، فهو الذي تعاطى مع المفهوم بشموليته النضالية، حيث يمكننا في هذا الصدد أن نعتبر المؤرخ أبي القاسم سعد الله رمزا تمثيليا له، فدراسته التي خصصها لتتبع ردة الفعل الجزائري على السياسة الكولونيالية، من بداية الاحتلال إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية قد وسمها الحركة الوطنية الجزائرية، وقد أشار ضمنيا إلى المفهوم بقوله " وهكذا، فإن الحركة الوطنية قد درست من خلال تعبيرها الثقافي، ونضالها السياسي ونشاطاتها الاجتماعية، ومقاومتها العسكرية ".[4]

والوطنية الجزائرية في مفهومه، " فهي الشعور الوطني المشترك الوفي للجزائري نحو أمته، وهذه الحالة العقلية قد وجدت بين الجزائريين منذ قرون، ولكن خطر الاحتلال فقط هو الذي صقلها ووضعها في محتواها التاريخي كقوة سياسية تصارع من أجل البقاء ".[5]

1 - مراد بوعباش، الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1962، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية فرع التنظيم السياسي والإداري، قسم العلوم السياسية، جامعة الجزائر 3، 2010-2011، ص 118.

2 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 1919-1939، ترجمة أحمد بن البار، دار الأمة الجزائر، 2011، ص ص 3-4.

3 - مراد بوعباش، المرجع السابق، ص 119.

4 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 12.

5 - المرجع نفسه، ص ص 70-71.

وأوضح سعد الله، أن تركيز المفهوم على النشاط السياسي العلني المهيكل في أحزاب ببرامج محددة، يعتبر مضللا من المنظور التاريخي، ذلك أن تاريخ ظهور القومية لا يتفق مع هذا التناول وهي صيرورة عاشتها أوربا نفسها، ومن ثمة، فإن الحركة الوطنية الجزائرية لم تشكل الاستثناء، فقد كان على الجزائريين قبل أن يبلغوا مرحلة تأسيس الأحزاب، ورفع المطالب، أن يجتازوا مراحل أخرى، كممارسة النشاط السري وإظهار الولاء والتعاون، والمناداة بنشر التعليم في صفوف الجماهير والدعوة إلى إحياء التاريخ الوطني، وخلق النوادي الثقافية، واستعمال الصحافة لخلق وتعزيز الضمير الوطني.[1]

ومن الدراسات والمؤلفات التي تبنت المصطلح، ووظفته في سياق حديثها عن المواجهة الجزائرية المتعددة الأبعاد للسياسة الفرنسية، نذكر الدراسة التي أعدها المؤرخ يحي بوعزيز، وجعل عنوانها: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1962.

يقول أجيرون عن فكرة الوطنية في الجزائر " إن الحديث عن الوطنية المزعومة لدى الجزائريين قبل سنة 1914م مجرد اتهام باطل، أرادت الأوساط الاستيطانية أن تتخذ منه موضوعا للجدل، ويبدو أن الأمر ظل كذلك إلى غاية الثلاثينيات ".[2]

وبالنسبة إليه، فإن الشكل الوحيد للوطنية الأصيلة التي صيغت بعشق لا يماري فيه اثنان تجاه أرض الأجداد، والعزم على تخليصها من سيادة الأجنبي، يبدو أنه يكمن في الأشعار الوطنية القديمة التي تغنى بها المداحون في الأسواق، ويعد الديوان الذي نشره قاضي محمد سنة 1928 بعنوان الكنز المكنون في الشعر الملحون، الذي كان يشتمل على أشعار في الحماسة وهجاء الإدارة الفرنسية، وعرض وقائع التاريخ الوطني كمفاخر، فهو بحق شعر وطني[3].

وعلى نفس الخط سار شارل أندري جوليان، ففي طرحه، فإن الوطنية لم تظهر في الجزائر إلا مؤخرا بعد الاحتلال بقرن تقريبا، فلم تكن الظروف مواتية لها مثل ما كان الحال في تونس والمغرب الأقصى.[4]

---

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 95.

2- شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ترجمة مسعود حاج مسعود و ع. بلعربي، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر 2007 ص 518.

3 - المرجع نفسه، ص ص 518-519.

4 - شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير: القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر، تونس، 1976 ص 55.

يرى من جهته المؤرخ محمد العربي الزبيري، أن التشويه الاستعماري لم يطاول فقط مفهوم وميلاد الحركة الوطنية، بل شمل مصطلح الجزائر في حد ذاته، ذلك أن الفرنسيين في دائرة المعارف العالمية الفرنسية، قد تبنوا في مادة الجزائر " أن هذا الاسم فرنسي، ويرجع تاريخه إلى سنة 1831م "، وشمل التزييف الحديث على أن ميلاد الحركة الوطنية، يرجع إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، حيث تم ربطها بحراك الأمير خالد وهم في ذلك يطبقون المقاييس المعتمدة في الغرب الاستعماري الذي لا علاقة لواقعه بواقعنا.[1]

وإذا ما حاولنا الوقوف على خصوصيات نضال الحركة الوطنية سواء في تجربتها خلال القرن التاسع عشر، حيث جنحت عموما إلى أسلوب المقاومات الشعبية المسلحة تحت قيادة زعامات دينية أو قبلية أم في نضالها عبر الآلية السياسية السلمية القائمة على بعث الجمعيات والنوادي والأحزاب، وهو الأسلوب الذي سيطر على المشهد الوطني عموما خلال النصف الأول من القرن العشرين مع بعض الاستثناءات فإنه يجدر بنا توضيح المعطيات الآتية.

- أن الحركة الوطنية كانت تواجه ثاني إمبراطورية استعمارية في العالم، وإذا كانت تشترك في كونها ضحية المد الرأسمالي الغربي المتوحش مع العديد من البلدان، لاسيما في القارتين الإفريقية والآسيوية، فإنها بالمقابل، وبحكم موقعها الجغرافي، كانت أقرب تلك المستعمرات الحيوية إلى فرنسا، وهذا القرب جعلها تحظى بأهمية خاصة لدى الدوائر الاستعمارية الفرنسية.
- أن دولة الاحتلال قد اعتبرت منذ وقت مبكر بعد نجاح عملية الغزو بأن الجزائر امتداد طبيعي لها جنوب البحر المتوسط، وقد نصص على ذلك المرسوم الملكي الصادر بتاريخ 22 جويلية 1834م، والذي دعم بالعديد من القرارات والمراسيم على فترات لاحقة، فكان أن فتح الإلحاق أبواب جهنم على المجتمع الجزائري، فخلافا لباقي الشعوب المستهدفة، كان على الجزائريين التصدي للظاهرة الاستعمارية من جهة، والعمل على إسقاط فكرة الجزائر الفرنسية من ناحية ثانية، الأمر الذي جعل طبيعة المواجهة تكون متميزة في أبعادها العسكرية، والسياسية والفكرية، والاجتماعية.

1 - محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 07.

- أن الحركة الوطنية الجزائرية على ما ذهب إليه المؤرخ أبي القاسم سعد الله قد وجدت نفسها معزولة في مواجهتها للمشروع الاستعماري الفرنسي، فلم تكن تتلقى الدعم من أية قوى منافسة لفرنسا، ذلك أن الاعتقاد كان قائما بأن الجزائر مقاطعة فرنسية، كما أن مساهمة وتأثير الأيديولوجيات الأجنبية لصالح النضال الوطني كانت ضئيلة، وغير حاسمة.
- أن طلب الجزائريين للمساواة مع الفرنسيين لم يكن ضد الوطنية، فقد كان مجرد وسيلة لحماية حركتهم من سياط القوانين الاستثنائية، والإجراءات الاضطهادية وبالنظر إلى طبيعة الحكم الفرنسي بالجزائر، فإن ذلك الطلب يعتبر خطوة منطقية في تطور الحركة الوطنية.[1]
- أن الحركة الوطنية غالبا ما وسمت بالتعصب والتطرف، والانقياد للتوجيهات الخارجية المعادية للمصالح الفرنسية، وهذه الاتهامات كانت شائعة طوال مسيرتها،بما في ذلك تجربتها السياسية خلال القرن العشرين، وقد حافظ الفرنسيون على هذا المذهب إلى غاية فقدان المستعمرة نهائيا، وفي حال الإقرار ببعض الأسباب الداخلية، فإنه يتم ربطها بعوامل اقتصادية واجتماعية ونادرا ما توضع في سياقها السياسي أو الوطني.[2]

[1] - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص ص 57- 58.

[2] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3،المرجع السابق، ص ص 105-106.

المحاضرة الثانية: الأساليب النضالية في الجزائر مطلع القرن العشرين.

تمهيد

لقد سجل الدارسون لحركية المجتمع الجزائري ملامح واضحة لتبدل الأسلوب النضالي في مواجهة السياسة الفرنسية مفتتح القرن العشرين، فقد شهدت البلاد انتعاشا ثقافيا، بعث الحياة في الشخصية الوطنية، وجعل الجزائري يخطوا خطواته الأولى لاستعادة ثقته التي تزعزعت، فانتقل من حالة الشعور بالعدمية، وفقدان الدور إلى حالة الكينونة، فكان أن ظهرت تعابير جديدة في قاموس الحوارات والمناقشات والخطب، مثل الحقوق السياسية، والمساواة، والعدالة، والتقدم والوطن، كما أدى الهيجان الاجتماعي الذي حركته الإجراءات التعسفية، على غرار المحاكم الرادعة ومنشور جونار Charles Jonnart، وقانون التجنيد الإجباري، إلى خلق ضمير مشترك جديد بين الجماهير، وهي حالة عقلية وعاطفية لابد من تهيئتها لإنجاح أية حركة وطنية.

- ظهور النخبة/ حركة الشبان وأطروحاتها قبل الحرب العالمية الأولى:

مقاربة المصطلح: لقد أسال مصطلح النخبة l'Elite الحبر الكثير، وتعددت التصنيفات للفئات المشكّلة لهذا المصطلح، وفي الواقع، فإن تتبع التعريف اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة ومدلولاتها يذهب بنا بعيدا، لذلك سنقف هنا عند التخصيص الذي ألصقه البعض بهذا اللفظ والذي ارتبط بتلك الفئة المثقفة والمتنورة التي كان لها الحظ في ولوج المدارس وأحيانا المعاهد العليا والجامعات الفرنسية والتي تدعى تارة بالنخبة وطورا آخر بحركة الشبان.

وفي هذا السياق يكتب أحد الباحثين " والخطأ الشائع الموروث عن الكتابات الاستعمارية يحصر المفهوم في طائفة محظوظة في علاقتها بالإدارة الاستعمارية...وأن مصطلح النخبة الرائج في الكتابات التاريخية الجزائرية اليوم، لا يحمل الدلالة الحقيقية للتعريف الدقيق للنخبة كمصطلح سياسي، وإنما يحمل في جوهره الإشارة إلى التيار الاندماجي في الحركة الوطنية، الذي تزعمته العناصر المتفرنسة ثقافيا واجتماعيا ".[1]

1 - عبد النور خيثر، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954 – 1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006 ص 19. (التزاما منا بالأمانة العلمية، وبسبب خلو نسخة الأطروحة المنشورة على الشبكة العنكبوتية من الترقيم، فقد اعتمدنا الترتيب الالكتروني للصفحات، والذي يظهر رقم الصفحة محل الاطلاع ضمن المجموع الكلي للصفحات. مثال ذلك: 19/529).

ولإلقاء نظرة على عديد التعريفات والتوصيفات التي وسم بها التيار المستغرب نفسه، أو أطلقت عليه من لدن باحثين وكتاب آخرين، سنسوق هذه الأمثلة، فلقد عرّف الشريف بن حبيلس وهو أحد زعماء النخبة الفرانكفونية جماعته بأنها:" ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية، والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير، وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين".[1]

ووصف الكاتب الفرنسي الاشتراكي جون جوريس النخبة الجزائرية بأنهم أناس ضائعون بين الحضارتين العربية والأوربية، وينسب إليه قوله: " إننا مزقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين وسرعان ما فقدوا الاتصال بحضارتهم، ولكنهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلا بصعوبة "[2]

وأما حركة الشبان، فيحيل المدلول في الكتابات المؤرخة للجزائر المعاصرة إلى فئة المثقفين الجزائريين ذوي التكوين الفرنسي، الذين صاغوا في بداية القرن العشرين مجموعة من المطالب الحقوقية التي تتعلق بأبناء وطنهم، وتطابقت عباراتهم مع تلك التي استعملها الشبان التونسيون والتي كانت على لسان نظرائهم المصريين والأتراك أيضا ولذلك عرفوا بهذه التسمية، وينسب البعض إلى جريدة المصباح دعوتها هؤلاء إلى تطليق التعابير الدالة على الجهوية، وتبني المصطلح الذي يعكس البعد الوطني والوحدة.لقد لازمت هذه الكلمة فئة من المجتمع الجزائري امتلكت رؤية جديدة ومختلفة تجاه القضايا المعاشة وسعت إلى إحداث التغيير بوسائل وطرق لم يستعملها الجيل السابق ومنها ضرورة الأخذ بمناهج الحداثة القائمة على العلم والحرية والعقل، لم يكن السن هو العامل المحدد لهذه الفئة، بقدر ما كان نمط الثقافة المكتسبة وقد وصفهم المؤرخ يوسف مناصرية بالحنكة، وبمعرفة خبايا السياسة وأنهم على وعي تام بمعاناة شعبهم تحت القوانين الاستعمارية، فكانوا يقاسمونه الآلام والآمال.[3]

ولعل من القضايا المثارة أيضا تحديد تاريخ لظهور حركة الشبان، فيربطها البعض بالعقد الأخير من القرن 19م، عندما زارت اللجنة البرلمانية الفرنسية برئاسة جول فيري الجزائر عام 1892م، وقامت بجولات استمرت زهاء 53 يوما، حيث قابلت العديد من الوجوه المثقفة التي عبرت عن تظلمات مختلفة وطرحت جملة مطالب يتطلع إليها الجزائريون، وقد أبانت تلك المناقشات التي تمت عن قدرة فكرية

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص 159.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، المرجع السابق، ص 169.

3 - فتيحة صافر، " ظهور حركة الشبان الجزائريين "، مجلة عصور الجديدة، المجلد 8، العدد 1، مختبر تاريخ الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران1، شتاء – ربيع 2017-2018، ص ص 156-158.

وتحليلية هامة تميز بها هؤلاء، مما جعل جول فيري يقر في تقريره، بأنه قد وجد محاورين مختلفين عما كانت عليه النخبة التقليدية، سماهم بالشبان الجزائريين يمتلكون ناصية اللغة الفرنسية، ولهم دراية بالحقائق المتعلقة بشعبهم.[1]

ويعتبر المؤرخ الفرنسي لوروي بوليو من بين الكتاب الذين استشعروا في الربع الأخير من القرن 19م إرهاصات الجزائر الفتاة، حيث نشر عديد المقالات في عام 1882م، دعا من خلالها ساسة باريس إلى سلوك سياسة ليبرالية، بالانفتاح على النخب الجزائرية الشابة، عبر منحها الحق في التمثيل النيابي محذرا من الاستمرار في نهج طريقة الاستعمار، والإبقاء على قانون الأهالي وهي المسألة التي من شأنها بحسب تحليله أن تدفع بالجزائريين إلى تقمص التجربة الانفصالية الايرلندية.[2] بينما تذهب أطروحات أخرى، إلى أن ظهور حركة الشبان يعود إلى مطلع القرن العشرين وبالضبط إلى العام 1908م، ففي هذه السنة طرح مشروع التجنيد الإجباري للمسلمين الجزائريين على طاولة الدراسة، حينما صدر مرسوم 17 جويلية لذات السنة يقضي بإحصاء الفتيان الجزائريين البالغين سن ثمانية عشر عاما، وهي الخطوة التي حركت العديد من النخب الوطنية، فقامت بتنظيم نفسها بإعلان ميلاد " لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين "، وكان من رموزها البارزة الشريف بن حبيلس وعمر بوضربة والدكتور ابن التهامي، حيث قامت بمساع حثيثة تجاه السلطات الفرنسية للاحتجاج على المشروع، والمطالبة بتحسين أحوال الجزائريين.[3] وجاء التحرك اللافت عام 1912م، حيث تضمنت العريضة التي أسماها أحد الباحثين " بيان الشاب الجزائري "،وحملها الوفد الذي سافر إلى باريس برئاسة الطبيب بلقاسم بن التهامي بمعية مجموعة من حملة الشهادات العليا، العديد من المطالب من بينها إلغاء قانون الأهالي وتخفيف عدم المساواة في مجال الضرائب وفي فوائد الميزانية، ونشر التعليم على أوسع نطاق كما طالبت في الحقل السياسي بتمثيل المسلمين بصورة جدية وكافية في المجالس الجزائرية وفي البرلمان الفرنسي.[4]

1 - بشير سحولي، مواقف النخبة الجزائرية الفرنسية من القضايا الوطنية 1900- 1939، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2014-2015، ص ص 33-34.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، المرجع السابق، ص 97.

3 - فتيحة صافر، المرجع السابق، ص 167.

4 - غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880 – 1962، ترجمة مسعود حاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 139. ينظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، المرجع السابق، ص 171

تعددت المواقف بشأن أطروحات هؤلاء، وتباينت بين الاتهام والتقدير وتفهم الظروف المصاحبة لنشاط هؤلاء، ففي تقدير المناضل محمد قنانش، فإن التحرك السياسي الذي ظهر مع مطلع القرن العشرين، ودعي بالشبيبة الجزائرية تأسيا بالشبيبة التونسية والتركية، لم يكن حراكا يحمل الفكرة الوطنية على غرارهما، بل اتجه هؤلاء الشبان إلى المطالبة بالدخول في العائلة الفرنسية، وهي القضية التي حملت مخاطر جمة، حيث كتب في هذا الصدد: "التفتح الذي دعا إليه المتنورون بالفرنسية وحتى بالعربية، قد كان يحمل في طياته السم القاتل للشعب الجزائري، ولولا ذلك الموقف الحازم من طرف الشعب ونظرته البعيدة إلى الأخطار المحدقة به لمسخت الجزائر وأصبحت الآن في خبر كان".[1]

ويرى الباحث عمار بوحوش بأن حركة الشبان لم تكن تتوفر على خطة مشتركة لمحاربة الظلم والاستبداد المسلط على الجزائريين، علاوة على مواجهتهم لأبرز عائق والمتمثل في عدم التجانس فيما بينهم على مستويي الممارسة والفكر، ولهذا كان نجاحهم محدودا جدا.[2]

وفي المقاربة التي قدمها المؤرخ يحي بوعزيز، فقد رأى بأن " الجزائر الفتاة " هي هيئة سياسية كونها جماعة من المثقفين الجزائريين، الذين تكونوا في المدارس الفرنسية وكانوا مفصولين عن تاريخهم الوطني، ومتشبعين بتاريخ وأمجاد الفرنسيين، وقد قادهم الشعور بالظلم والاحتقار إلى المطالبة بالمساواة وتحددت أهدافهم في العريضة المرفوعة إلى السلطات الفرنسية سنة 1912م ولما كانت هذه الأهداف متواضعة، ولا تعبر عن المطامح الحقيقية للجزائريين، فإن هيئة الجزائر الفتاة لم تعمر طويلا، لاسيما أن تشكيلها قد تزامن مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، التي غطت على كل حراك، وجعلت منها فرنسا ذريعة لغلق أذنيها وعيونها عن الواقع الجزائري.[3]

وتحدث المؤرخ أبي القاسم سعد الله، على أن جماعة النخبة لم يتبنوا أفكار الغرب ووسائل عيشه وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه فقط، بل أيضا أرادوا أن يحولوا المجتمع الجزائري إلى مجتمع أوربي، ونظرا لتعليمهم، فقد شعروا بأنهم قطعوا من بقية المجتمع الذي كان غريبا عنهم، لقد كانوا يشعرون بعقدة الكمال

1 - محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982، ص 23.

2 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1997، ص ص 202-203.

3 - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 -1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 76-77.

بالنظر إلى المجتمع الجزائري، ولكن كانوا يشعرون بعقدة النقص بالنظر إلى المجتمع الفرنسي، ونتيجة لذلك ضاعوا بين المجتمعين.[1]

غير أن ذات الدارس، أشار من جانب آخر، إلى أن القيام بنظرة دقيقة إلى برنامج النخبة الجزائرية، ستجعل المرء يقدر دورهم الوطني في العقد الأول من القرن العشرين فبالرغم من عدم مطالبتهم بالاستقلال الكامل، وذلك لكون هذا المطلب كان مستحيلا برأي البعض في تلك الظروف لانعدام البديل الذي يخلف فرنسا، وأيضا لعدم مجاراة الكولون في رغباتهم المتعلقة بالانفصال عن الدولة الفرنسية، لكنهم ثاروا ضد الوضع القائم، وسط حالة الضعف التي كانت تعصف بهم وقلة عددهم، زيادة على العوائق المتعددة التي واجهتهم، منها طبيعة المجتمع الجزائري وإجحاف المستوطنين، والسياسة القمعية للإدارة الاستعمارية، وكانوا بعديدين عن العنف والتطرف، وسعوا إلى بناء مجتمع جزائري يرتكز على التقدم والتسامح، والمساواة، فكانت رؤيتهم ومنهجهم في العمل تقترب إلى المثالية، فكانوا يبحثون عن نمط تعايش لا يمكن أن يتحقق.[2]

كانت طريقة نضال جماعة النخبة لتطبيق برنامجهم بسيطة، فقد بدأوا أولا بالتفريق بين فرنسا الديمقراطية وفرنسا الاستبدادية، ثم استغاثوا بالأولى ضد الثانية، كما وجهوا خطابهم إلى الفرنسيين الليبيراليين والجمهوريين، ضد الكولون والمستغلين، وفي ذات الوقت، شنوا حملة انتقاد ضد العلماء والأعيان والمرابطين الجزائريين، حيث وصفوهم بالرجعية، واعتبروهم حواجز في طريق التقدم والحياة الحديثة.[3]

مفهوم الجزائر الفتاة:

لقد كان من المصطلحات التي دخلت مجال الاستعمال مصطلح الجزائر الفتاة وتعني الحركة الوطنية التي هدفت تحرير البلاد بطرق شرعية سياسية مستعملة في أغلب الأحيان وسائل غربية، في أسلوب مغاير لما اعتادت عليه الحركة الوطنية في نسختها القديمة، حيث أنها حاولت خلال تجربتها في القرن التاسع عشر المراهنة أساسا مع بعض الاستثناءات على طرد الفرنسيين بوسائل عسكرية والقضاء على وجودهم بالأدب الشعبي وغموض الجمعيات الدينية، والدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وإلى الهجرة.

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، المرجع السابق، ص 169.

2 - المرجع نفسه، ص 181.

3 - المرجع نفسه، ص 170.

فالجزائر الفتاة إذن، أرادت أن تتخلص من الحكم الفرنسي بطرق جديدة ، حيث أن قادتها قد اقتنعوا بأن اللجوء إلى الثورات غير المنظمة أصبح بلا فائدة، وفرنسا في أعين هؤلاء رغم أنها لم تكن قادرة على تهدئة الجزائر، غير أنها بحكم قوتها العسكرية وتمركز الكولون على الأرض، وإصرارها على البقاء، الأمر الذي يجعلها تستطيع أن تحطم أية حركة وطنية.[1]

تجليات النهضة الجزائرية: 1/ بعث الصحافة الجزائرية: لقد توشح العقد الأول من القرن العشرين بإطلالة لافتة صنعها عدد من الرواد، الذين كان لهم فضل السبق في اقتحام مضمار ظل لعقود طويلة بعيدا عن متناول الجزائريين، ويكاد يكون وقفا تاما على المستوطنين، ويتعلق الأمر بالإعلام المكتوب المتمثل في الجرائد، فقد تمكن ثلة من المثقفين ذوي المشارب والتوجهات المختلفة من خلق صحافة وطنية، حيث أدركوا أهمية هذه الوسيلة للتعبير عن مطالبهم، ومن هؤلاء الرواد العربي فخار، الذي خلق جريدة " المصباح " التي كانت مزدوجة اللغة، وعمرت سنتي 1904-1905م وكان هدفها تحقيق التفاهم بين المجموعة الجزائرية والأوربية، وأنشأت شخصية أخرى هي الصادق دندان صحيفة " الإسلام " عام 1912، ولم يتخلف الرائد الثالث عمر راسم عن اقتحام الميدان بتحرير جريدة " الجزائر" عام 1908م وهي شهرية باللغة العربية، وكانت أهدافها توعوية وتثقيفية ولعل من بين الجرائد التي أثرت على الرأي العام خلال عقد كامل بين أعوام 1903م – 1913م صحيفة " المغرب " وهي أسبوعية باللغة العربية ذات اتجاه إصلاحي إسلامي، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك صحف أخرى مؤثرة منها " الفاروق " التي ظهرت عام 1912م، وقد أصدرها عمر بن قدور الجزائري، وهكذا، فخلال عقد، خلق الجزائريون صحافة مؤثرة بلغتهم تعكس ميولهم ورغائبهم وقد كانت المدن الكبرى على غرار قسنطينة، والجزائر ووهران هي مراكز ثقل هذا النشاط الصحفي في العهد المذكور.[2]

2/ لقد تجلت النهضة أيضا بشكل واضح وفعال في عدد من النوادي والجمعيات الثقافية وخلال العقدين اللذين سبقا الحرب العالمية الأولى، كان هناك عدد من المراكز التي تؤدي وظيفة المدرسة وتمثل فضاءات رياضية وملتقيات سياسية، وأكثر أسماء هذه الدور والجمعيات تدل على روحها وبرنامجها، مثل التوفيقية ونادي صالح باي، ووداية العلوم الجديدة، ونادي التقدم، نادي الشباب الجزائري، وجمعية الهلال

1 - - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، المرجع السابق، ص 96.

2 - المرجع نفسه، ص ص 140-141.

والرشيدية وغيرها ولإعطاء صورة عن مدى التأثير والانتشار، نذكر منها مثلا نادي صالح باي بقسنطينة الذي كان في عام 1908م يضم ألفا وسبعمائة عضو، وكان له فروع كثيرة في مدن الجزائر والجمعية الرشيدية التي تأسست عام 1894م بالعاصمة وكانت تتوفر على فروع في كافة أنحاء البلاد، وقد ضم فرع مدينة الجزائر عام 1910م ما يناهز 250 عضوا.[1]

3/ الاهتمام بالتاريخ الوطني: كان من المظاهر الهامة لهذه الفترة إحياء الأعمال التاريخية الجزائرية وفي هذه الخطوة تحقيق للربط بين الأجيال، وهكذا وبين سنوات 1900-1910م نشرت أعمال: نحلة اللبيب لإبن عمار، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لإبن مريم، ونزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للورتلاني، وعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني، وهي تعالج المرحلة الوسيطة في الجزائر، وتعكس الحياة الثقافية الثرية، ويبدو أن هدف ناشري تلك الأسفار كان تفتيح عيون الجزائريين الذين أصابهم الجهل وحدث لهم النكوص على قبسات كن ماضيهم المشرق.

وفي عام 1907 نشر أبو القاسم الحفناوي موسوعة في مجلدين عنونها بـ" تعريف الخلف برجال السلف " ضمنها تراجم شخصية لمشاهير الجزائريين الذين ساهموا في شتى الحقول السياسية والاجتماعية والثقافية، وفي سنة 1903 نشر محمد باشا وهو ابن الأمير عبد القادر كتابا بالإسكندرية عنوانه" تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"، ولا شك أن لهذا المؤلف قيمة خاصة فمعالجة سيرة مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، جديرة باستحضار معاني الصمود والتصدي.[2]

4/ وساهم من ناحية موازية الشعر والأدب الشعبي والرسم والموسيقى والمسرح أيضا في النهضة الثقافية وبرز من شعراء هذه المرحلة ابن الموهوب، والمجاوي، وقد ساهمت عائلة راسم في ميدان الرسم مع التركيز على الحوادث التاريخية والحياة الاجتماعية، كما أن جماعة من الجزائريين قد خلقت مسرحا وطنيا مستفيدة من التجربة الفرنسية، فخدمت تلك الفئة قضية التنوير الفكري عبر معالجة المشاكل الاجتماعية بطريقة ساخرة.[3]

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، المرجع السابق، ص ص 137-139.

2 - المرجع نفسه، ص ص 142-143.

3 - المرجع نفسه، ص 151.

المحاضرة الثالثة: الجزائر والحرب العالمية الأولى 1914-1918م: مشاركة ومكاسب

موقف الجزائريين من الحرب:

لقد وجد الجزائريون أنفسهم طرفا في مواجهات الحرب العالمية الأولى دون إرادتهم وفي غير صالحهم، حيث عملت السلطات الاستعمارية على الزج بهم في أتونها مستخدمة القبضة الحديدية تارة وملوحة بوعود إصلاح الأوضاع تارة أخرى، وبانتهاج الدعاية والإغراءات المالية ومختلف أشكال الضغوطات، وإذا كان السواد الأعظم من الجزائريين قد اتخذ موقفا معارضا ورافضا لمساندة دولة الاحتلال، فإن قسما آخر من ذوي المصالح المتنوعة المرتبطة مع الإدارة الفرنسية قد آثر المشاركة، وحث بقية أفراد الشعب على وجوب مناصرة باريس.

تظهر صور المعارضة من خلال:

- ظهور أدب شعبي مجسدا في أغان وأشعار تندد بفرنسا، وتشيد بالدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا، على غرار "أغنية الحاج غيوم"، التي تتهكم بالجيش الفرنسي وتعبر عن الأمل في قرب انعتاق الجزائر على يد أعداء فرنسا المنتصرين.
- رفض أعداد كبيرة من الشباب الخضوع لأوامر التجنيد الإجباري، واعتصامهم بالجبال وشنهم عمليات ضد رموز الإدارة الفرنسية كما حدث في مناطق معسكر، وسدراتة وتبسة والأوراس، وفي هذه الأخيرة صمدت مجموعة من الشباب الأبطال تحت قيادة كل من مسعود بن زلماط، والصالح بن بومصران خلال الفترة 1917-1921م.
- اندلاع ثورتين، الأولى بمنطقة الهقار بداية من شهر فيفري 1916م، واستمرت إلى غاية العام 1919م، والثانية بمنطقة بئر التوتة، وبريكة بالأوراس، اشتعلت في شهر نوفمر 1916م ألحقت خسائر مهمة بالفرنسيين، وقد حاولت كل من ألمانيا والدولة العثمانية استقطاب هؤلاء الثوار ودعمهم، غير أن فرنسا تمكنت من حسم الموقف لصالحها.
- مساهمة عدد من الفارين من صفوف الجندية الفرنسية إلى جانب مجموعة من المواطنين الأحرار، وبالتنسيق مع بعض التونسيين والمغاربة في تشكيل لجان تعمل على استقلال

منطقة شمال إفريقيا في جنيف، وبرلين، واسطنبول، وسعت لفضح السياسة الفرنسية والتنديد بها.[1]

وبالمقابل تحدث البعض على أن سجل مشاركة الجزائر في هذه الحرب يثير الاندهاش حيث أن معظم الكتاب الفرنسيين يتفقون على هذه الحقيقة، فالكاتب ميرسي ذكر بأن الجزائريين قد لعبوا دورا محوريا في أبرز المعارك الحاسمة على غرار شارلروا، والمارن، وشامبانيو، وفيردان والسوم، وقد تضاربت الإحصائيات عن حجم المساهمة الجزائرية، حيث حملت تقديرات العام 1916م مشاركة 80 ألف جندي و 60 ألف عامل، علاوة على الدعم المادي الذي وفرته العديد من العائلات الغنية، وقد نشرت مجلة إفريقيا الفرنسية تقريرا سنة 1919م، أشارت من خلاله إلى حجم المشاركة حيث بلغ عدد الجنود 177 ألف، والعمال 75 ألف.[2]

انعكاسات الحرب على القضية الوطنية:

لقد أثارت المبادئ الأربعة عشر التي طرحها الرئيس الأمريكي وودر ولسن اهتماما كبيرا لدى الجزائريين، الذين كانوا على علم بالشؤون الدولية، فلقد وفّر المذهب الولسوني لهؤلاء نوعا من التبرير وبكيفية غير مباشرة تزكية معنوية مشجعة للغاية ومن ثمة ندرك الصدى الايجابي الذي ظفر به هذا المذهب لدى الفتيان الجزائريين ذوي النزعة الوطنية، الذين كانوا يحلمون على الأقل باستقلالية إدارية في إطار الوحدة المغاربية تحت الوصاية الفرنسية، وقد كان الناطقون باسم الرأي العام الجزائري، يرون أن التغيرات التي أحدثتها الحرب على الخريطة الدولية، ولاسيما الأوربية تمثل حجة كافية ليس فقط للمطالبة بإصلاحات عميقة في إدارة الأهالي، ولكن أيضا لمراجعة قانون المستعمرة نفسه، وكان في طليعة هؤلاء المتحمسين الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر.[3]يقول فرحات عباس" بعد حرب 1914-1918م اكتشف المجندون والعمال الجزائريون عالما آخر فتحت سماء فرنسا بدأوا يعون حالتهم المزرية، فحكموا على النظام الاستعماري بالجملة وأدانوه ".[4]

1 - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص ص 352-353.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، المرجع السابق، ص ص 208-209.

3 - علي مرّاد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940م، ترجمة محمد يحياتن، طبعة خاصة، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 42.

4 - فرحات عباس، الشاب الجزائري، ترجمة أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص ص 21-22.

إصلاحات فيفري 1919م:

أصدرت فرنسا استجابة لنضال الجزائريين، ولضغوط بعض الفرنسيين العاطفين عليها وبدعوى مكافأة الأهالي على ولائهم، قانون 4 فيفري 1919م، الذي أتاح للأهالي إمكانية اكتساب الجنسية الفرنسية إذا توفرت فيهم شروطا معينة، لا يمكن أن تتوفر في غالبية الجزائريين وهي: ألا يكون متزوجا بأكثر من واحدة، وأن يكون قد أقام ببلديته عامين متتاليين على الأقل، وألا يكون قد صدر بحقه حكم مخل بالشرف، علاوة على حيازته واحدة من الصفات الآتية: الخدمة في الجيش الفرنسي، مع شهادة حسن السلوك أو يكون موظفا في الدولة، أو عضوا في أي مجلس من المجالس المقامة في الجزائر، أو يكون حاملا لوسام فرنسي.[1]

تعليقا على إصلاحات جورج كليمنصو لشهر فيفري 1919م أشار شارل روبير أجيرون " إلى أن هذه الإصلاحات المتواضعة التي ثار عليها رؤساء بلديات الجزائر لم تكن تفي بالوعود المقطوعة عام 1914م، فأصيب الشبان الجزائريون بخيبة أمل، ولم يدرك أحد أن رفض كل حق في التمثيل ولو بشكل غير مباشر في البرلمان الفرنسي وإيجاد ناخبين جزائريين فقط، ليس من شأنه إلا أن يجعل هذه الإصلاحات تفتح الباب للوطنية الجزائرية ".[2]

الأمير خالد وطرح القضية الجزائرية:

لقد ظهرت وطنية الأمير خالد بصفة ملموسة في بداية عام 1919م حين طالب زملاءه بتشكيل وفد جزائري لحضور مؤتمر السلام، الذي التئم في باريس على غرار الوفود التي جاءت من المستعمرات البريطانية، وبالفعل سافر الوفد، وتمكن من تسليم رسالة إلى الرئيس الأمريكي ولسن بتاريخ 19 ماي 1919م، عن طريق أحد معاونيه تضمنت المطالب الجزائرية، وهذا الموقف أرهب الأوربيين المستوطنين بالجزائر.

لقد أطلق مؤرخو الحركة الوطنية على حركة الأمير خالد عدة أسماء، فمنهم من قال بأنه كان ذا اتجاه وطني إسلامي، ومنهم من ربط حركته بالاتجاه الوطني الاشتراكي ومنهم من اعتبرها حركة

1 - بشير بلاح، المرجع السابق، ص ص 355-356.

2 - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت 1982، ص 117.

إصلاحية، تهدف إلى تحسين وضعية مسلمي الجزائر، غير أنه لا واحد من هؤلاء قد أعطاها صفة الثورية، بسبب عدم وجود مصوغات يبنى عليها هذا الرأي، لكن مع نشر المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجيرون لنص العريضة التي قدمها الأمير إلى الرئيس الأمريكي ولسن خلال مؤتمر فرساي 1919م، ثم الإضافات التي قدمها المؤرخ أبي القاسم سعد الله، تجعل من هذه الحركة على مذهب البعض حركة سياسة ثورية انفصالية، ذلك أن عبارة " حق تقرير المصير " أصبحت في هذه المرحلة مرادفة لعبارة نيل الاستقلال.[1]

تعتبر حركة الأمير خالد تجربة مهمة في تطور العمل السياسي في الأوساط الجزائرية بداية من عام 1919م، كونها اعتبرت الفاصل بين العمل السياسي النخبوي الذي كان سائرا من قبل والعمل السياسي الجماهيري الذي بدأت تشهده الساحة السياسية في الجزائر.[2]

ليس هناك اتفاق بين المعاصرين لتحديد وصف الحالة العامة بالجزائر عقب نهاية الحرب العالمية الأولى، فالبعض يتحدث عن كونها نقطة هادئة وسط منطقة هائجة، ورأى البعض أن حالة الهدوء الظاهرية تخفي بين طياتها مكامن مصادمات وشيكة على السطح وأوعزوا ذلك على حراك الاتجاهات الوطنية، والبلشفية، وحركة الجامعة الإسلامية وذهب أبي القاسم سعد الله، إلى أن وضع الجزائر تحت المنظار يظهر أن عقد العشرينيات كان من أكثر العقود حسما في تاريخ الجزائر فبالرغم من أن الحرب لم تقدم أي حل للمشكلة الجزائرية، فإن أحداث ونتائج الحرب قد أثرت على كل مظاهر الحياة تقريبا فوقعها كان بلا حدود.[3]

إن وقع الحرب قد خلّف تركة جعلت بعض الكتاب يصفون عقد العشرينيات بأنه عهد النهضة في الجزائر، فجوزيف ديبارمي يسميه بعهد الاندفاع الوطني، والاتجاه نحو الثورة السياسية، والإصلاح الديني والأخلاقي ، بالإضافة إلى النهضة الأدبية والعلمية.[4]

1 - يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919 -1939م ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 ص ص 45-46.

2 - مراد بوعباش، المرجع السابق، ص 164.

3 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، المرجع السابق، ص 283.

4 - المرجع نفسه، ص 288.

المحاضرة الرابعة: من نجم شمال إفريقيا إلى حزب الشعب: نشاط التيار الاستقلالي 1926- 1939م

تمهيد/ عالم يتغير وحركية في الجزائر:

لا شك أن عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى، قد حمل معه رياح التغيير على الصعيد الفكري والسياسي بالنسبة للجزائريين، الذين وجدوا أنفسهم يخوضون تجربة نضالية جديدة مختلفة عما ألفوه من الممارسات السابقة، فقد تفتحت عيونهم على أفكار الحرية والديمقراطية، وشاهدوا عن قرب الأنشطة الحزبية والنقابية، وتعرفوا على حرية الصحافة وهم فوق الأرض الفرنسية، سواء أكان ذلك برغبة منهم، أم كانت مسألة قسرية ترتبط بأجندات الدولة المستعمرة.

لقد أبانت الخريطة السياسية للحركة الوطنية عن تعدد الاتجاهات تبعا للمشارب والأيديولوجيات والبرامج والمطالب المعروضة على الإدارة الفرنسية، ومن تلك التيارات التي كان لها حضورها القوي والمؤثر في تطورات المشهد النضالي الجزائري التيار الاستقلالي والذي يصفه البعض بالثوري، ففي التعريف الذي ساقه أحد الباحثين جاء: "هو ذلك التيار الجزائري المحض الذي كان يؤمن بالجزائر كشعب واحد متماسك الأطراف، له خصائصه ومميزاته، لا يقبل التجنيس ولا الاندماج ولا يرجو الاستفادة من الإصلاحات الاستعمارية، وهو أيضا ذلك التيار الذي لا يفكر إلا في مصير الشعب الجزائري ويهدف إلى تحقيق استقلاله التام ، وفصله النهائي عن الاستعمار الفرنسي سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، دون أي تأثير أجنبي لا يتماشى وأصالة الجزائر الحضارية العربية الإسلامية ".[1]

الهجرة الجزائرية بفرنسا: متطلبات اقتصادية وإسهام نضالي:

لقد أشارت الدراسات التاريخية المتعلقة بموضوع الهجرة الجزائرية صوب الضفة الشمالية للمتوسط إلى أنها قد تمت في مراحلها الأولى دون لفت الأنظار، ومن ثمة ليس هناك تحديد تاريخ بعينه كمحطة معلمية، إلا أن الثابت أنها حصلت قبل عام 1874م، ذلك أن هذه الأخيرة قد شهدت إصدار مرسوم يقيد الهجرة إلى فرنسا، بإلزامية حيازة رخصة للسفر.

1 - - يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 06.

وقد شملت تركيبة المهاجرين الرواد التجار المتجولون بالسجاجيد والتحف الجزائرية، وأعداد من الرعاة الذين رافقوا أنعام مستخدميهم الأوربيين خاصة إلى مرسيليا علاوة على مجموعات من الخدم لدى الخواص من الفرنسيين، وبعد مدة زمنية تحول هؤلاء عن وظيفتهم الأصلية إلى عمال بالمصانع الفرنسية حيث كانت الحاجة إلى توظيفهم تتزايد، ومن ثمة صدرت توصيات بتشجيع حركة الهجرة.[1]

كان للحرب العالمية الأولى الدور الأساس في فتح باب الهجرة ولاسيما بعد أن صارت تحت الإشراف الرسمي بداية من عام 1916م، حينما تم تأسيس مصلحة عمال المستعمرات، فكان أن حدث التدفق التلقائي والإجباري، حيث ساهمت ظروف المواجهة العالمية في تضاعف حركة الجزائريين المهاجرين، وتشير الإحصاءات إلى أرقام متضاربة حول أعدادهم حيث يذكر البعض أنهم قد بلغوا في نهاية الحرب 270.000 مهاجر.[2]

لقد اكتشف المهاجر حياة جديدة تختلف عن ماضي معيشته بوطنه، فالإقامة بفرنسا قد أتاحت له فرصة الاحتكاك بالمجتمع الفرنسي، وتجريب طريقته في المأكل والملبس والتعرف على عقلية الطبقة العاملة من فرنسيين وأوربيين، والاطلاع على الاتجاهات السياسية هناك، في جو من الحرية المفقودة في بلاده، كما كان على المهاجر التفاعل مع الفعاليات التي تنظم أمامه، من تجمعات ومظاهرات، وكان يطرح تساؤلات حول مفهوم الحرية، والديمقراطية، والشيوعية، وعن معنى حق الشعوب في تقرير مصيرها وغير ذلك من المفاهيم والشعارات، فكان الأمر ينتهي به إلى الانخراط في النقابات والأحزاب السياسية.[3] لم يكن المهاجر معزولا عن باقي تطورات العالم فقد كانت أصداء أحداث شمال إفريقيا والمشرق العربي تلقى الاهتمام والمتابعة ومن ذلك حرب الريف بالمغرب الأقصى التي أدت إلى تدعيم روح التضامن الواسع بين عمال المنطقة المغاربية وهذا الشعور المتدفق هو الذي ارتكز عليه الأمير خالد عند تواجده بفرنسا واحتكاكه بشريحة المغتربين مثمنا تلك المشاعر وحاثا إياهم على خلق منظمة سياسية تجمع شملهم وتدافع عن مصالحهم.[4]

1 - عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914 – 1939 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2007، ص ص 12-13.

2 - المرجع نفسه، ص ص 14-15.

3 - المرجع نفسه، ص 16.

4 - المرجع نفسه، ص 17.

ميلاد النجم وروايات التأسيس:

يذهب المناضل محمد قنانش إلى أن نواة النجم قد بدأت مع تكوين " جمعية الأخوة الإسلامية " عام 1925م كرابطة دينية تجمع تطلعات العمال المغاربة وتمنعهم من الذوبان كخطوة أولى ، وبتأثير تطورات الأحداث في الريف وفي سوريا أضحت الحاجة إلى بعث تنظيم سياسي محكم:[1] " فتقرر إنشاء حركة وطنية للكفاح السياسي على غرار الحركات الثورية العالمية لا تقتصر على الجزائر فقط بل تشمل تونس والمغرب، لأن الشمال الإفريقي واحد في آماله وآلامه، وفي جغرافيته وتاريخه، ولغته ودينه، ثم أن الاستعمار كان يعامل أبناء الأقطار الثلاثة معاملة واحدة لا يفرق بين المستعمرة وبين الحماية ".

عن ملابسات تأسيس النجم يذكر مصالي الحاج : [2]" خلال اجتماع جمع الحاج علي عبد القادر وسي جيلاني والمتكلم – أي مصالي – وبعض الآخرين أنشئت في مارس 1926م جمعية مسماة نجم شمال افريقيا، فقد كان هذا ثمرة لمناقشات ومشاورات دامت عددا من السنين، فمنذ نشأة هذه الهيئة الجديدة عينت رئيسا لها ...فمواطنونا كانوا حقيقة فرحين جدا ولكنهم كانوا حذرين كذلك لأننا لسنا معروفين، لم نكن في البلاد لا مستشارين بلديين ولا قيادا وليس فينا حتى ممرنا في المدارس الأهلية فمثلا بيننا وبين الأمير خالد كان هناك فارق كالنهار والليل ".

وتحدث عن الصعوبات التي واجهت النجم في أعوامه الأولى[3] " في سنة 1930 كنا نعيش كالبدو الرحل، فبعد أربعة أعوام من النشاط ليس لنا مقر اجتماعي وليست لنا وسائل التعبير كانت تنقصنا الإطارات والدراهم والمنخرطين، وكنا نخشى أن ننقسم ويواجه بعضنا البعض الآخر بإيعاز من أعدائنا "

وسائل نضال النجم وآليات تواصله: إلى غاية 1930م كان اتصال النجم بالجماهير في الداخل محدودا جدا وكان يتمتع بعطف اليساريين الفرنسيين والأوربيين، والمنظمات المعادية للاستعمار، وكان الهدف الحقيقي للنجم هو تحقيق استقلال إفريقيا الشمالية كلها وكانت نشاطات النجم تتمثل في المنشورات والصحافة والمؤتمرات، وكانت طريقته ثورية ومباشرة، وقد بلغ عدد منتسبيه عام 1928م نحو 3500 مناضلا وهكذا

1 - محمد قنانش، المصدر السابق، ص ص 28-29.

2 - مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1898 – 1938م، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر 2007، ص 135.

3 - المصدر نفسه، ص 150.

فقد أعطى النجم لأهالي إفريقيا الشمالية في فرنسا أملا لامعا حيث وجدوا من خلاله معلومات عن الوطن ونقطة انطلاق لمطالبهم، ووعدا بالحرية.

ولمواجهة القيود التي أحيطت بتحركات أعضائه لاسيما بالجزائر، فقد اعتمد النجم على الصحافة في التواصل مع الجزائريين، وهناك صحيفتان رئيستان خدمتا الحزب وهما "الإقدام الباريسي" المستوحاة من صحيفة الأمير خالد التي أنشأها عام 1919م، والتي توقفت عن الصدور بعد نفيه، وقد كانت هذه الصحيفة في حلتها الجديدة تصدر كل شهر وباللغتين، وسرعان ما جلب لها خطها المعارض نقمة الكولون، الذين اشتكوا من أنها تبث أفكارا خطيرة، فقامت السلطات بمنع صدورها في شهر فيفري 1927م، ومن ثمة أعاد النجم إصدارها بتسمية جديدة تحمل الاستمرارية وهي " الإقدام الشمال إفريقي "[1].

وبعد أن حلت السلطات الفرنسية النجم سنة 1929م، أصدر قادته في العام الموالي جريدة جديدة بعنوان " الأمة "، وهي التي يقرأ عنوانها الفرعي العربي هكذا: جريدة وطنية وسياسية للدفاع عن حقوق مسلمي إفريقيا الشمالية، وقد كان مديرها السياسي هو مصالي الحاج أما محررها فقد كان عمار عياش عضو الهيئة الإدارية للنجم، وكان شعارها نجمة وهلال مع الآية الكريمة:" واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا "، وفي سنة 1933م دعا النجم كل أهالي إفريقيا الشمالية أن يقرأوا "الأمة" التي لم تكن وسيلة دعاية وحسب، بل أصبحت أحد مصادره المالية الرئيسة[2].

كتبت جريدة "الأمة" سنة 1934م ردا على الاتهامات الموجهة لنجم شمال إفريقيا بكونه ذو ميول شيوعية : " إننا نقولها بصراحة ، إننا وطنيون، وباسم مبدأ تقرير المصير للشعوب كما عبر عنه ويلسون نطالب بالحرية والاستقلال لوطننا ".[3]

لقد كانت النغمة الوطنية والدينية واضحة في كتابات النجم عبر صحفه وبطاقات اشتراك المتعاطفين وبطاقات عضوية المناضلين، ومع ذلك، فإن الفرنسيين كانوا يتهمون النجم بأنه ذو نزعة بلشفية، وبكونه آلة في يد الحزب الشيوعي الفرنسي.

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص 373.

2 - المرجع نفسه، ص 374.

3 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط3، المرجع السابق، ص 286.

إن مؤسسي وزعماء النجم كانوا عموما من العمال الجزائريين ومن الجنود السابقين، فكانت اتصالاتهم بأوربا أكثر تأثيرا على عقولهم وحركاتهم، ولم يعد يربطهم بالحياة الاجتماعية الجزائرية سوى ماضيهم العائلي وذكريات طفولتهم، فوجدوا أنفسهم في أوربا وقد تبنوا طريقة الحياة في الضفة الأخرى وتعلموا الشعارات السياسية والمناورات الحزبية، والنظام والتكتيك الثوري، وقد وجدوا هناك حرية أكثر في التعبير، وكسبوا أصدقاء لتأييد قضيتهم أكثر مما وجدوا في الجزائر.

وخلال العشرينيات كان زعماء النجم ما يزالون منعزلين عن الوطن، كان تأثيرهم فعالا فقط بين المهاجرين في فرنسا وفي باقي البلدان الأوربية، ولم يستطع هؤلاء القادة نقل برنامجهم بفعالية إلى الجزائر إلا خلال الثلاثينيات، نظرا لانقطاعهم عن الوطن لأسباب مختلفة، ونتيجة لمعارضة المستوطنين.[1]

النجم والأنشطة السياسية على الساحة الدولية:

كان مؤتمر بروكسل المنعقد في الفترة بين 10 إلى 15 فيفري 1927م بمثابة أكبر حدث سياسي عالمي بحسب أحد المعاصرين فقد مثّل المشاركون القارات الخمس، فكانوا معبرين عن آمال وتطلعات مليار نسمة يمثلون الأغلبية، وقد كتب فريدريك فرنسوا مارسال Frédéric François- Marsal وكان قد تولى من قبل رئاسة وزراء فرنسا مقالا في صحيفة " العالم الجديد " بتاريخ 15 مارس 1927م مما جاء فيه : " لقد تكلمت الصحافة الفرنسية قليلا عن مؤتمر بروكسل، وهذا غلط، لأن سياسة النعامة لا تعطي إلا الفاكهة المرة، يجب فحص الخطر، وتحديد مناورات الأعداء ومعرفة الخبايا ".[2]

تضمن البيان الذي عرضه النجم التنديد بالظاهرة الاستعمارية والدعوة إلى الإسهام في تحرير الشعب الجزائري، وقد نشرت الجريدة الشيوعية " الكفاح الاجتماعي " بتاريخ 11 مارس 1927م نص التقرير المعروض، وهذه بعض المقتطفات منه: " تمركزت الامبريالية الفرنسية على أرض الجزائر بقوة السلاح وبالوعود الخلابة، واستولت على الثروات الطبيعية وعلى الأرض ...والسكان الذين كانوا يعيشون في نعمة لم يبق لهم شيء، وقد جعلت منهم الامبريالية جياعا وعبيدا والاغتصاب قد نفذ كما هي العادة تحت شعار المدنية، وباسم هذه المدنية المزعومة فقد ديست بالأرجل جميع التقاليد والعادات...مائة

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 375-376.

2 - محمد قنانش، المصدر السابق، ص ص 41-42.

سنة من لاستعمار: فالجماهير الجزائرية المستغلة والمضغوط عليها هي في كفاح مستمر ضد الامبريالية الفرنسية للتوصل إلى الاستقلال ".[1]

لقد اعتبر عدد من الكتاب الفرنسيين على غرار أرون، وفافرو، وجوليان أن تنظيم النجم رديف للشيوعية، وتكون في حجرها، وفي هذا الإطار، يمكننا الإشارة إلى ما جاء على أعمدة مجلة " إفريقيا الفرنسية l'Afrique française " عام 1928م بأن " النجم جماعة من الدعاة الثوريين الذين يأخذون تعليماتهم من الحزب الشيوعي الفرنسي" وإذا كان ليس هناك شك في أن الوطنيين كانوا بحاجة إلى تأييد الشيوعيين، الذين كانوا بدورهم يناورون تحقيقا لأهدافهم، غير أن تناقضات التيار الشيوعي بين الطرح المعادي للاستعمار وبين عدم تشجيع الاستقلال، قد أقنعت قادة النجم بأن التعاون مع هؤلاء ينبغي أن يكون قائما على التكتيك لا على المذهبية.[2]

كان أول انتصار للنجم هو مشاركته في مؤتمر بروكسل المنعقد خلال شهر فيفري 1927م والذي اعتبر التجمع العالمي الأول من نوعه، وقد نظمته " الجمعية المعادية للاضطهاد الاستعماري " وحضرته وفود من قارات آسيا وإفريقيا وأوربا وأمريكا، تمثلت مطالب النجم في برنامج الخمس عشرة نقطة الذي لم يكن جديدا في مجمله فقد سبق وأن تقدمت وفود جزائرية مختلفة منذ مفتتح القرن العشرين ببعض النقاط الواردة فيه إلى السلطات الفرنسية، ويمكن تلخيص كل البرنامج في النقاط الآتية:

- 1/ الاستقلال الكامل للجزائر.
- 2/ جلاء الجيش الفرنسي.
- 3/ تكوين جيش وطني.
- 4/ مصادرة الأملاك الزراعية الكبيرة للكولون والشركات الإقطاعية.
- 5/ احترام الممتلكات الصغيرة والمتوسطة للفرنسيين.
- 6/ إرجاع الأراضي والغابات التي أخذتها الدولة الفرنسية إلى الجزائر.

1 - محمد قنانش، المصدر السابق، ص ص 43-44.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص 377.

- 7/ الإلغاء الفوري لقانون الأهالي وجميع القوانين الاستثنائية الأخرى.
- 8/ العفو العام عن الجزائريين الذين كانوا قد سجنوا أو نفوا أو كانوا يعيشون تحت الرقابة القضائية.
- 9/ حرية الصحافة والاجتماع والتجمع، ومنح الحقوق السياسية والنقابية كتلك التي منحت للفرنسيين في الجزائر.
- 10/ إحلال مجلس وطني جزائري منتخب بطريقة التصويت العام محل المجلس المالي.
- 11/ إنشاء مجالس بلدية منتخبة بطريقة التصويت العام.
- 12/ حق الجزائريين بالتمتع بجميع مستويات التعليم.
- 13/ خلق المدارس باللغة العربية.
- 14/ تطبيق جميع القوانين الاجتماعية الفرنسية على الجزائر.
- 15/ زيادة القروض الفلاحية إلى الفلاحين الجزائريين الصغار.[1]

من الواضح أن بعض هذه المطالب كان ثوريا، وكان يمثل نقطة انطلاق جديدة في طريق تحرير الجزائر، لاشك أن استقلال البلاد ، وجلاء القوات الأجنبية ، وتكوين جيش ومجلس وطني والانتخابات عن طريق التصويت العام كانت أمثلة لا غبار عليها على هذا المد الجديد فكانت هذه الاندفاعة الوطنية الواضحة مؤشر حذر لدى الشيوعيين وكانت مرتكزا للإجراءات العقابية التي لحقت بمنشوراته وقادته وبلغت درجتها القصوى بقرار حله عام 1929م.[2]

تعكس هذه المطالب موقف النجم من الوضعية في الجزائر، وهي وضعية كانت في صالح الأقلية الأوربية المحتكرة لمصادر الاقتصاد، ولاسيما الأراضي مورد الأهالي الوحيد، ويسود فيها نظام اجتماعي جائر وتنعدم فيها حرية التعبير، وتسيطر الأقلية الأوربية على اللجان والمجالس المالية، بينما الأهالي محرومون من التعليم عامة ولغتهم خاصة، لذلك وردت المطالب في صيغة ناقدة للوضعية السائدة عندئذ.

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 378-379.

2 - المرجع نفسه، ص 379.

إن ورود المطالب بهذا الشكل المتداخل يظهر النقائص الموجودة في المجال العقائدي فكيف يمكن التوفيق بين المطالبة بالاستقلال التام وبانتخاب برلمان جزائري عن طريق الاقتراع العام في آن واحد، إذ أن المنطق يقول أن تحقيق المطلب الأول يفرز آليا تجسيد الثاني، ثم كيف يتصور تحقيق الاستقلال بدون جيش وطني ؟ وأي موقع للحديث عن العفو العام طالما كانت البلاد مستقلة.[1]

تطور أفكار ومطالب النجم:

يلحظ المحلل لأفكار وأطروحات النجم، أنها شهدت مراجعات ابتداء من عام 1928م ويجد الدارس عند المقارنة بين ما طرح في عام 1927م و 1933م بعض التطور في إيديولوجية الحزب، كاتضاح المطالب العاجلة في إطار الاحتلال الفرنسي عن المبادئ العقائدية البعيدة، وورود مطالب جديدة لم تكن بالبرنامج الأول، على غرار: حرية السفر إلى فرنسا وإلى سائر البلاد الأجنبية، وإلغاء البلديات المختلطة والمناطق العسكرية بالجنوب، واحترام العقيدة الدينية لدى المسلمين، كما حدد برنامج 1933م بعض المطالب تحديدا أكثر وضوحا مثل: انتخاب برلمان وطني جزائري، بدل برلمان جزائري فقط والدعوة إلى إجبارية تعليم اللغة العربية، وفتح الأبواب أمام الجزائريين لتولي كل المناصب،علاوة على مطالب أخرى ذات طابع اجتماعي اقتصادي.[2]

يعتقد المناضل محمد قنانش أن سنة 1927م قد أقرت مبدأ الاستقلال الوطني عمليا، ومبدأ الثورة فكريا، ومبدأ وحدة الشمال الإفريقي استراتيجيا، فإن سنة 1928م قد عرفت تغيرات جديدة أهمها: تصحيح قوانين المنظمة، وخروج بعض الشيوعيين منها واتساع نشاطها على صعيد المغرب العربي خاصة في تعاطيها مع أحداث حرب الريف بالمغرب الأقصى، ومما يجب الإشارة إليه أن الحكومة الفرنسية قد شرعت في محاربة النجم منذ عام 1927م، بعد أن شعرت بخطورته على نفوذها مستخدمة في ذلك وسيلتين هامتين:

- العمل على نشر دعاية واسعة ضده في كل من الجزائر وتونس بدعوى أنه فرع للحزب الشيوعي، وأنه متطرف في مطالبه، ويعمل لصالح موسكو.

1 - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 72.

2 - المرجع نفسه، ص 73.

– إصدار حكم قضائي من محكمة السين الباريسية بحله في شهر نوفمبر 1929م ، وقد جاء قرار الحل حسب البعض نتيجة لضغط رؤساء البلديات في الجزائر على الحكومة المركزية، بسبب مطالبه الاستقلالية، ودعواته للأهالي للقيام بالثورة.[1]

صراع النجم مع الإدارة الاستعمارية:

كان تحضير الفرنسيين للاحتفال بمئوية الاحتلال مجالا للنجم كي يضاعف من حملته المعادية للاستعمار، فقد اصدر نداءات ومناشير موجهة لأهالي شمال إفريقيا ككل وإلى الجزائريين على وجه الخصوص، حيث جاء في أحدها والذي صدر في صيف 1928م " أعدوا أنفسكم لتحتفلوا بمرور مائة عام على احتلال بلادكم بطريقتكم الخاصة وذلك بتنظيم حركة واسعة ضد الامبريالية"، وبعد أن انتقد بحدة الخونة والموالين للإدارة الاستعمارية، دعا الجماهير إلى التضامن والوحدة، باعتبارها الطريق الوحيد للتخلص من الهيمنة، وتحقيق الاستقلال.[2]

ونظرا لاندفاعه النشيط ضد الاستعمار، قررت السلطات الفرنسية أن تحل النجم ولم يكن لديها من الأسباب الكافية ولا الاتهامات للقيام بتلك الخطوة، وهكذا اتخذت محكمة السين في باريس بتاريخ 20 نوفمبر 1929م قرار الحل دون مصوغات جدّية، وقد اعترفت هي نفسها بعد شرعية القرار، وألغته بموجب حكم صدر في 04 جويلية 1935م وبناء على رأي بعض الكتاب، فإن حلّ النجم قد وقع نظرا لدعايته الخطيرة المعادية لفرنسا.[3]

وأثناء فترة الحل ظل ينشط في الخفاء، وتعتبر سنة 1933م محطة رمزية، حيث انعقد اجتماع هام للنجم، تمخض عن سلسلة قرارات، لعل من بينها منع أعضائه من الانتماء إلى منظمات أو أحزاب أخرى وأصبحت كوادره جزائرية بشكل لافت، وركز اهتمامه على القضية الجزائرية وصارت مسائل المغرب العربي ثانوية، ولكن هذا النشاط جلب إليه أعين الرقابة، فحاول قادته تغيير اسمه إلى " نجم إفريقيا الشمالية المجيد " لكن القضاء الفرنسي كان لهم بالمرصاد فخلال عامي 1934-1935م، وجهت إليهم

1 - عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 – 1945م، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص ص 227-228.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 381-382.

3 - المرجع نفسه، ص 382.

الاتهامات بالتحريض على العصيان، والقيام بنشاطات تحت عنوان منظمة منحلة قانونا وهو ما ترتب عنه ملاحقات وفرض غرامات مالية، واقتياد رموزه إلى السجن، وكمثال على ذلك، الحكم الصادر ضد مصالي وعمار عيماش، اللذين حكم عليهما في شهر جانفي 1935م بستة أشهر للأول، وأربعة أشهر للثاني وبمائتي فرنك لكل واحد منهما.[1]

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 123-124.

المحاضرة الخامسة: من نجم شمال إفريقيا إلى حزب الشعب: نشاط التيار الاستقلالي 1926- 1939م (تابع)

النجم من النضال المهجري إلى ولوج الساحة الوطنية:

تشكل سنة 1934م محطة لبداية تسرب نشاط الحزب إلى الجزائر، حيث أخذت أفكاره تنتشر تدريجيا بين السكان الوطنيين، ولم تكد تحل سنة 1936م حتى أخذ نشاطه منعطفا جديدا في الجزائر ولاسيما بعد الخطاب الذي ألقاه مصالي الحاج في الملعب البلدي أمام زهاء عشرة آلاف جزائري بمناسبة رجوع وفد المؤتمر الإسلامي من باريس فمنذ هذا التاريخ أخذت الفروع تتكون غير أن رفض النجم لمشروع فيوليت ومطالبته باستقلال الجزائر، وتزايد نشاطه على الصعيد الوطني، ودفاعه عن الطبقات الكادحة وتعرضه لهجمات الحزب الشيوعي الفرنسي، قد أدى إلى حله من طرف الجبهة الشعبية في شهر جانفي 1937م، ذلك أنه كما ذهب إليه المناضل قنانش " لم يكن من الطبيعي ولا من المعقول على حكومة استعمارية حتى ولو كانت يسارية أن تسمح لشعوب مستعمراتها أن تقوم بحركة أو منظمة تنسف مبادئ الاستعمار من أساسه، وتعيد إلى الشعب كرامته وتبعث فيه روح النضال ".[1]

يعتبر تاريخ 02 أوت 1936م منعرجا بالغ الأهمية في صعود اسم مصالي وانتشار شعبيته وفي تغلغل حزب نجم شمال إفريقيا داخل الجزائر، ففي هذا التاريخ انعقد بالملعب البلدي بحسين داي لقاء حضره زهاء 20 ألف شخص للاستماع إلى قادة وفد المؤتمر الإسلامي، الذي عاد من باريس يحمل ردود الحكومة الفرنسية على المطالب الجزائرية وقد تزامن هذا الحدث مع وصول مصالي الحاج إلى الجزائر في نفس اليوم، حيث توجه إلى مكان اللقاء، وطلب أخذ الكلمة التي منحت له بصعوبة، فجاء خطابه باللغتين العربية والفرنسية، وبعد أن أعلن مساندته للمطالب العاجلة الواردة في ميثاق المؤتمر على تواضعها واعتدالها، انتقد فيه فكرة إلحاق الجزائر بفرنسا بالقول: " لكنني أعلن صراحة رفضنا القاطع لما جاء في الميثاق حول إلحاق بلادنا بفرنسا، وتمثيل سكانها في برلمانها فإذا كانت بلادنا اليوم ملحقة بفرنسا إداريا وتابعة لسلطتها المركزية، فذلك نتيجة لغزو عنيف متبوع باحتلال عسكري...هناك إذا فرق جوهري بين

1 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص ص 230-231.

إلحاق مفروض علينا وإلحاق نرضى به عن طيب خاطر..إننا لا نريد رهن مستقبل الشعب الجزائري وأمله في التحرر الوطني بأية ذريعة كانت ".[1]

وفي غمر الحماسة انحنى الزعيم ليأخذ حفنة من تراب تقديسا لأرض الوطن وصرخ قائلا: " إن هذه الأرض ليست للبيع، فالشعب هو صاحبها ووارثها، البلاد لا تدمج ولا تستعاب "، وقد أثار ذلك مشاعر الجمهور الذي جاءه أفواجا أفواجا إلى المنصة وحمل فوق الأكتاف، وسير به في موكب وسط المدينة، وهي الحالة التي كان لها أعمق الأثر في نفسيته، ويرى البعض أن النشاط الرسمي للنجم بدأ تحديدا بالعاصمة مع هذا الخطاب فبهذا الخطاب ولدت المصالية في الجزائر.

بقي مصالي مدة ثلاثة أشهر كانت فترة مليئة بالنشاط، حيث كانت الاجتماعات والتجمعات والدعوات الخاصة، إنه بالفعل سباق انتقل فيه من مدينة إلى مدينة وسط جماهير متحمسة، وبعد مغادرته الجزائر في خريف 1936م، توصل نجم شمال إفريقيا إلى تأسيس 30 فرعا بالجزائر، وترك 31 فرعا آخر في طريق التأسيس.[2]

وفي اجتماع له بمدينة تلمسان بتاريخ 25 أوت 1936م صرح بالآتي: " إن الشعب المغلول اليدين لا يعرف معنى السلم، إلا إذا حرر من قيوده، فأعينوا الشعب الجزائري على تحريره، وهنا يفهمكم ويساعدكم ".

وفي 17 نوفمبر 1936م صدر النشيد الحماسي الشهير للمناضل في النجم الشاعر مفدي زكرياء وكان بعنوان " فداء الجزائر " ومما جاء فيه:

فداء الجزائر روحي ومالي ... ألا في سبيل الحرية

فليحي حزب الاستقلال ... نجم شمال افريقية

وليحي زعيم الشعب مصالي ... مثال الفدا والوطنية

1 - أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر 1914 – 1954م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار المعرفة الجزائر، 2007، ص 126.

2 - بنيامين سطورا، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898 – 1974م، ترجمة الصادق عماري و مصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص ص 142-143.

فلسنا نرضى الامتزاجا ... ولسنا نرضى التجنيسا

ولسنا نرضى الاندماجا ... ولا نرتد فرنسيسا

رضينا بالإسلام تاجا ... كفى الجهال تدنيسا

فكل من يبغي اعوجاجا ... رجمناه كإبليسا.[1]

وبرأي المؤرخ أبي القاسم سعد الله، فإن ميلاد نجم شمال إفريقيا كان أحد الأحداث العظيمة في التاريخ السياسي للجزائر، فقد ساهم بنطاقه، واتجاهه الثوري وأمده، في تدعيم وتوجيه الحركة الوطنية الجزائرية بشكل فعال، وقد حاول أن يدخل عناصر جديدة في السياسة الجزائرية، غير أن مساهمة النجم في مراحله الأولى، لم تكن مدهشة كثيرا لأنه قد واجه عقبات مختلفة من السلطات الفرنسية، وكان محاربا من الشيوعيين لموقفه الوطني الضيق، وكان يقوم بنشاطه خارج الوطن وقد ساعد على تثقيف الجماهير سياسيا ولاسيما المهاجرون الجزائريون بفرنسا وأوربا، علاوة على الطلبة، كما جعل القضية الجزائرية معروفة عالميا.[2]

تأسيس حزب الشعب:

لقد أقلقت تحركات وأنشطة النجم المعمرين في الجزائر وحكومة باريس، حيث تم حل التنظيم رسميا بتاريخ 26 جانفي 1937م، غير أن قيادته سارعت إلى تأسيس حزب الشعب في 11 مارس 1937م بباريس، ثم نقلت مقره المركزي إلى الجزائر مستغلة الانفتاح النسبي على الحريات في فرنسا ما وراء المتوسط، خلافا للوضع السائد في الجزائر، وكانت هذه المسارعة دلالة لا شك فيها على استمرارية روح الثورة.

ولكي يتميز حزب الشعب عن النجم، حرص قادته على حذف الإشارة إلى استقلال إفريقيا الشمالية من برنامجه، وإن ظل التنظيم الجديد يطالب الاستقلال بواسطة انتخاب برلمان جزائري عن طريق الاقتراع العام دون تمييز على أساس العرق أو الدين، ويبدو هذا التراجع التاكتيكي في تصريح

1 - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 298-299.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص 383.

للمكتب السياسي وزع في شكل منشور سري بالجزائر العاصمة جاء فيه : يتمثل برنامج حزب الشعب قبل كل شيء في النضال العاجل من أجل تحسين الحالة المعنوية والمادية للجزائريين ويدافع الحزب عن الشعب الجزائري بكامله ويعمل لتمكين جميع السكان بدون تمييز عرقي، أو ديني من الاستفادة من نفس الحقوق والحريات مقابل أداء الواجبات المفروضة على الجميع، وشعاره " لا إدماج، ولا انفصال ولكن انعتاق ".[1]

لقد عملت القيادة على تنظيم حزب الشعب داخل الجزائر، وفي غضون سنة وتحديدا في جوان 1937م أصبح للتنظيم 80 فرعا، وكانت قياداته هي نفسها كوادر النجم باستثناء عمار عيماش الذي آثر الانسحاب معتبرا أن الأرضية الجديدة لا تمثل خط النجم.[2]

قام الحزب بسلسلة من النشاطات الدعائية والمظاهرات، وكانت وسائل تواصله مع المناضلين وعموم الشعب متنوعة، حيث وظف اللقاءات المباشرة، واستغل المناسبات والأعياد والحفلات بل وحتى المآتم كما حصل في جنازة أرزقي كحال التي سار فيها 15 ألف شخص، أطلقت خلالها الزغاريد والأناشيد، وواصل الاعتماد بقوة على الصحف فاستمرت جريدة " الأمة " في الصدور في فرنسا، وتم تدعيمها بإصدار جريدة نصف شهرية باللغة العربية وهي جريدة " الشعب "، في شهر أوت 1937م من أجل الوصول إلى الجماهير الجزائرية، وكان شعارها كلمة الزعيم المصري سعد زغلول " إن إرادة الشعب تنبثق من إرادة الله وإرادة الله لا تقهر "، كما أصدر جريدة ناطقة باللغة الفرنسية تحت اسم " البرلمان الجزائري " في ماي 1939م، وكان برنامج الجريدة يحمل دلالة بارزة " سوف تعلم الشعب الجزائري بصراحة وبصدق وتربيه وتكونه وتقوده نحو التحرر ".[3]

ويبدو أن خيارات الحزب النضالية كانت متعددة، حيث ذهب إلى تفعيل المشاركة الجماهيرية وفي هذا الصدد يمكننا ذكر عيّنة عندما أعطى الأمر للشعب الجزائري للقيام بإضراب سياسي للتنديد بالقمع الوحشي السائد في الجزائر والمغرب، حيث طلب من التجار غلق محلاتهم في 20 نوفمبر 1937م وبالرغم

1 - أحمد مهساس، المصدر السابق، ص ص 130-132.

2 - محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 642.

3 - المرجع نفسه، ص ص 705-708.

من تدخل الشرطة لمنع العملية فإن هذا الإضراب الذي كان الأول من نوعه لقي نجاحا باهرا وخاصة في العاصمة.[1]

لم تجد الإدارة أمام الإصرار وصمود المناضلين سوى اختيار طريق القمع والمتابعات القضائية حيث تم توقيف مصالي وأبرز القادة ومنهم مفدي زكرياء، وحسين لحول وخليفة بن عمار وحكمت عليهم بالسجن لمدة عامين في 04 نوفمبر 1937م واستمرت حملات الترهيب، ومن ذلك منع المظاهرات الوطنية وتعليق جريدتي البرلمان الجزائري والأمة في نهاية شهر أوت 1937م وهو ما أجبر قادة الحزب على التخلي عن كل نشاط عمومي واللجوء من جديد إلى السرية[2].

الأطر المرجعية والأيديولوجية للنجم/حزب الشعب:

لقد دلت تحليلات الكتابات المتعلقة بموضوع الهوية عند نخب هذا التيار وفي مقدمتها بطبيعة الحال أطروحات مصالي الحاج على تعدد مرجعياته، وتنوع حقوله الأيديولوجية - الثقافية فهو منشدّ إلى موروثه العربي الإسلامي، منبهر بمقومات الغرب المشرق، منفتح على الفكر الاشتراكي والآفاق التي فتحتها ثورة أكتوبر 1917م، وفي هذا الانتماء المتعدد تكمن النعوت التي وصفت بها المصالية في مظان الكتابات التي تطرقت بالمعالجة للحركة الوطنية.

وفعلا باستقراء تاريخي لتجربة النجم/ حزب الشعب تحت القيادة الفعلية لمصالي نلامس حضور تعددية الأطر المرجعية التي حكمت تفكيره ووجهت نشاطه، ففي دعوته إلى مقاومة الكولونيالية استقى من مفهوم الجهاد، ولم يناقش معتقدات الناس، وعلى الرغم من قناعته بحكم الاحتكاك بوجود قيم مشرقة في الفكر الغربي، فقد كان مدافعا مستميتا عن شخصية الجزائر وهويتها، معتزا بقيم الحضارة العربية الإسلامية، وظل يمثل صوت الضعفاء، دون أن يعتمد في دفاعه لا مفهوم الطبقة، ولا مقولة الصراع الاجتماعي.[3]

1 - محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 704.

2 - المصدر نفسه ، ص ص 714-716.

3 - أحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1994، ص 285.

المحاضرة السادسة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: نضالها السياسي ودورها الثقافي والاجتماعي (القسم الأول)

ظهور الفكر الإصلاحي: مع نهاية القرن التاسع عشر انتشرت في الجزائر فكرة الإصلاح التي حمل لواءها مفكرين دينيين لم يكونوا بالضرورة متأثرين بالتيارات المشرقية ومن أشهر هؤلاء عبد القادر المجاوي وصالح بن مهنا، وقد عرف التيار الإصلاحي تطورا كبيرا بعد ح ع 1 بفضل حيوية رواده حيث تمكن هؤلاء الذين تابعوا تحصيلهم في بلاد المشرق والذين التزموا بالعمل الاجتماعي والنشاط الثقافي من تحقيق المواءمة بين الحركة الإصلاحية المحلية والحركة السلفية في المشرق التي قادها جمال الدين الأفغاني بمعية تلميذه محمد عبده، وقد كانت العروة الوثقى لسانها المعبر عن أفكارها والتي لاشك أنها قد لقيت صدى طيبا في الجزائر.[1]

كتب علي مرّاد متحدثا عن إرهاصات الحركة الإصلاحية يقول: لقد أفضت القطيعة المائلة بين الجزائر وبقية العالم العربي إلى انقطاع شبه كلي للمبادلات والمجادلات الشافية، ونضوب منابع الإلهام المشتركة، وإلى نوع من نسيان الشرق قد تجلى في شكل جهل، كان الإسلام الجزائري المتقوقع على قواه الخاصة، يتوفر على موارد متواضعة للغاية، سواء من حيث الرجال، أم من حيث التجهيز الفكري، لم تسمح له إمكاناته الثقافية بمواصلة التطور الضروري، والإقدام على التجديد المساير لتقدم الفكر والحضارة في العالم.

وعن تأثير المصلح المصري محمد عبده أضاف:" كان الإسلام في الجزائر في حاجة إلى دفع تاريخي للانتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، للخروج من السبات السديمي والتكيف مع العالم الجديد، عن طريق الاهتمام النشط، كان المسلمون الجزائريون يفتقرون إلى معلومات دقيقة عن مسيرة الإسلام عبر العالم، غير أن محمد عبده كان بالضبط الرجل الذي جعلهم يشعرون بإيقاع الشرق الإسلامي، وساعدهم على استيعاب التوجه الإصلاحي للإسلام المعاصر بشكل سريع".[2]

1 - صادق سلام، فرنسا ومسلموها: قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005م، ترجمة زهيدة درويش جبور، ط1 هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، 2012، ص 99.

2 - علي مرّاد، مرّاد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940م، ترجمة محمد يحياتن، طبعة خاصة دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص ص 36- 37.

الإطار العام لظهور الجمعية: لقد برزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الوجود كحركة سياسية إسلامية ذات جذور اجتماعية قوية، وذلك ضمن إطار عام للصحوة الإسلامية، كما أنها ظهرت إلى الوجود في وقت تنامى فيه الحديث عن اندماج الجزائر بفرنسا، وتعالت الدعوات للتخلي عن الهوية الإسلامية، للحصول على الجنسية الفرنسية، مثلما نصت على ذلك إصلاحات جورج كليمنصو بتاريخ 04 فيفري 1919م، زيادة على الاحتفالات المئوية المهينة، وهي العوامل التي مهدت لظهور الجمعية وساعدتها على أداء رسالتها والتفاف الناس حولها، ويخلص الباحث عمار بوحوش إلى" أن جمعية العلماء قد جاءت في وقت مناسب لتحقيق رغبة شعبية عارمة، وهي البحث عن وسائل لإيقاف الهجمة الاستعمارية الشرسة على المسلمين، والتعاون مع رجالات الإصلاح في بلدان الجوار تونس والمغرب وأيضا في باقي أصقاع الوطن العربي.[1]

لقد عرفت الفترة الواقعة بين 1920 – 1931م يقظة عامة في البلاد شملت كل مظاهر الحياة الجزائرية، الأدبية والاجتماعية والعلمية والدينية والصحفية والاقتصادية والسياسية وقد جاءت هذه النهضة العامة كما يقول الإبراهيمي: " بعد شعور الأمة بسوء الحال ... والشعور بالفساد هو أول مراحل الإصلاح "، وفي هذا المناخ الملائم نسبيا أراد العلماء المصلحون أن يلعبوا دورا نشيطا في البلاد على غرار الحركات الجزائرية الموجودة وقتئذ ففكروا منذ عام 1924م في إنشاء جمعية دينية تلم شملهم ، وتوحد جهودهم، ولكن هذا المشروع لم ير النور ولم يبرز إلى حيز الوجود إلا بعد ست سنوات من التردد بفعل غياب توافق تام بين المصلحين والمحافظين التقليديين.

وبناء على رأي شارل روبير أجيرون، فإن شيوخ الزوايا رغم أنهم كانوا مستائين بشدة من مهاجمة صحافة العلماء المصلحين لهم، فإنهم حاولوا أن يتقربوا من العلماء المعتدلين وطلبوا منهم أن يكفوا عن مهاجمتهم وأن يعملوا بالاشتراك معهم على تجديد الدين والأخلاق.

ويبدو أن هذه الرغبة من طرف الطرقيين بحسب هذا الرأي قد جاءت كنتيجة لشعورهم بالخطر من دعوة العلماء المصلحين، ومهما يكن من أمر فان الاحتفالات الفرنسية بمرور مائة عام على احتلال

1 - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 244-245.

الجزائر قد عجلت باتحاد علماء القطر، وميلاد الجمعية، ذلك أن العلماء الذين شاركوا في تلك الاحتفالات مشاركة حزينة صرخوا قائلين: لقد احتفلوا بعيدهم الأول، ولكنهم لن يحتفلوا بعيدهم الثاني.[1]

ميلاد الجمعية وتركيبتها:

حسب رواية أحمد توفيق المدني، فإن فكرة خلق الجمعية ترجع إلى جماعة من ذوي الاتجاه الإصلاحي العربي الإسلامي، كانوا يترددون على نادي الترقي لمناقشة الأوضاع التي آلت إليها البلاد - وخاصة بعد الاحتفالات القرنية المهينة، التي كانت مجالا فسيحا للمتعصبين الفرنسيين الذين هاجموا الإسلام والمسلمين بشدة – وقد ذكر إلى جانبه ثلاثة وهم: عمر إسماعيل ، ومحمد العاصمي ومحمد عبابسة حيث تناقشوا بإسهاب خلال شهر جويلية 1930م في الآثار المؤلمة التي تركتها تلك الاحتفالات على الرأي العام الإسلامي في الجزائر، واجمعوا أخيرا على بعث هيئة للعلماء توحد صفوفهم وتكون إطارا جامعا لهم،وفي هذا الصدد كتب يقول: " وجاء دور التفكير في إنشاء مثل هذه الحركة، وإخراجها من طور الفكرة إلى طور التنفيذ، وتداولنا نحن الأربعة في الأمر وأخيرا هدانا التفكير إلى وجوب جمع علماء المسلمين في الأرض الجزائرية ، أو على الأقل جمع من يلبي النداء منهم، وتأسيس جمعية إسلامية عالية...قال العاصمي وكان له فضل السبق في هذا المجال لندعها إذن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فتفاءلنا خيرا بالاسم ".[2]

وهذا الطرح، رآه البعض مبالغة من الرجل ذلك أن فكرة إنشاء جمعية للعلماء تحت أي اسم من الأسماء قد أثيرت عشية ح ع 1 ونادى بها ابن باديس والإبراهيمي عام 1924م، ودعت إليها جريدة الشهاب سنة 1925م إلا أنه لا يمكن نكران الدور الذي لعبته تلك الاحتفالات في تسريع عملية الميلاد.[3]

لقد وجه النداء لتأسيس الجمعية على صفحات جريدتي الشهاب والنجاح وتولى كتابته عمر إسماعيل، الذي رصد جائزة مالية قوامها ألف فرنك فرنسي قديم لمن يؤسس جمعية للعلماء، وقام توفيق المدني بكتابة مائة وعشرين دعوة لعلماء القطر الجزائري بهدف عقد اجتماع في العاصمة بنادي الترقي

1 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص ص 99-100.

2 - عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني: النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899 – 1983م، دار المحابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 266-267.

3 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص ص 100-101.

حيث لبى الدعوة اثنان وسبعون عالما بالحضور، واعتذر نحو خمسين عالما آخرين، وجرى الاجتماع يوم الخامس من شهر ماي 1931م، حيث انبثق عنه الجهاز الإداري والقانون الأساسي للجمعية، الذي تمت ترجمته إلى الفرنسية وقدم إلى الحكومة للمصادقة عليه.

لجأت اللجنة التحضيرية إلى طريقة مكنتها من تغليب كفة المصلحين المجددين بأن تحاشت عملية الترشح والانتخاب، وطرحت عوضا عن ذلك طريقة الاقتراح والتزكية وهكذا تشكل المجلس الإداري الذي انتخب ابن باديس غيابيا للرئاسة، والإبراهيمي نائبا له وأسندت الأمانة العامة إلى الأمين العمودي بمساعدة الطيب العقبي، وكلف بأمانة المال مبارك الميلي بمساعدة إبراهيم بيوض.

وضمت الجمعية في عضويتها اتجاهات مختلفة، كان بعضها إصلاحيا مجددا وكان البعض الآخر يمثل المحافظين، ويبدو أن إدخال رجال الدين من غير المصلحين كان مجرد تكتيك، ذلك أن المناصب الهامة قد تولاها المصلحون، بينما لم يكن رؤساء ست طرق هامة في البلاد سوى أعضاء مساعدين فقط.[1]

علّق أحمد توفيق المدني على ميلاد الجمعية بالقول:" وهكذا نشأت والحكومة مدهوشة لا تدري ماذا تصنع، ولا تعرف بماذا تقابل جمعية العلماء، فكانت النور، وكانت النار، وكانت العمل وتحقيق الأمل ".[2]

لقد اختيرت مدينة الجزائر العاصمة مقرا وطنيا للجمعية، على الرغم من أن مؤسسيها البارزين كانوا من شرق البلاد، كما أن قسنطينة بوصفها مهدا للحركة الإصلاحية كانت مرشحة أكثر من غيرها لاحتضان المقر، ويفسر الاختيار الذي وقع بأن العاصمة هي مقر السلطة المركزية، وتضم نادي الترقي الذي ولدت فيه الجمعية وتلقت من منتسبيه العون المادي، زيادة على ذلك فان ابن باديس نفسه أراد أن يبعد عنه احتكار إدارة هذه المنظمة الجديدة، وحتى تكون ممثلة لعلماء القطر كله لا للمصلحين فقط.[3]

تركيبة الجمعية: وعن مسألة تعدد مكونات الجمعية يقول المدني : :" هناك شرط أساسي جوهري يجب احترامه إذا ما جمعنا حقا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ألا وهو جمع العمال من كل الطوائف ومن كل المذاهب الموجودة بالجزائر حتى تمثل وحدة وطنية صميمة، ثم أن البلاد تجابه اليوم تصادما ما بين فكرتين

1 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص ص 101-102.

2 - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 273.

3 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص ص 103 – 104.

أساسيتين: هما الإصلاح، والطرقية، فكما أن رجال الإصلاح الإسلامي يكونون ولا ريب في طليعة هؤلاء العلماء، فعلينا أن يكون ضمن العلماء أيضا رجال من الطرقية، فداخل هذه البوتقة الصالحة يجب أن ينصهر الجميع، ويخرج منها الشعب الجزائري الأصيل شابا صالحا عملاقا ".[1]

والواقع أن انضمام بعض الطرقيين، ورجال الزوايا إلى الجمعية عند تأسيسها كانت لهم أغراض لم تخف على العلماء المصلحين، ولا على الكتاب المعاصرين، فقد علقت جريدة البصائر على تأسيس الجمعية بعد سبع سنوات بقولها: " تأسست الجمعية في جو قد غشيته سحب الريب فالحكومة مرتابة منها والطرقية التي كان يمثلها في الجمعية رجالها مرتابة من كفاءة ممثليها وقدرتهم على الدفاع عنها، ومفكرو الأمة قد غلب عليهم اليأس في نجاح الحركات الشعبية فهم في ريبة من نمو ذلك المولود المبارك "

لقد كان الطرقيون عاجزين عن مواصلة السير داخل هذه الجمعية، لأنهم شعروا كما قال الإبراهيمي: بأنهم مازالوا يتتلمذون على رجال الإصلاح المجددين، وهكذا لجأ الطرقيون بوحي من الإدارة الاستعمارية وأعوانها إلى تأسيس جمعية لمحاربة الإصلاح الجديد بتاريخ 15 سبتمبر 1932م عرفت بجمعية علماء السنة الجزائريين برئاسة المولود الحافظي، ومن الجدير بالذكر أن هذه الجمعية لم تعمر سوى ثلاث سنوات، لأنها كانت منبوذة من طرف الوطنيين المخلصين، بل أنها كانت تفتقر في ذاتها إلى أنصار مؤمنين بأطروحاتها فكانت عبئا على الإدارة الاستعمارية.[2]

أهداف الجمعية:

كتب الكثيرون عن أهداف الجمعية، وتباينت قراءاتهم وتحليلاتهم لفكر ومواقف قادتها فبعضهم حصر دورها في التعليم العربي ومحاربة الخرافات، وتطهير الإسلام مما علق به من شوائب خلال العصور المتأخرة، بينما اتجه فريق ثان إلى ربطها بالنشاط السياسي، ومعاداة الاستعمار وفكرة تكوين الدولة الجزائرية، وزعم البعض الآخر بأن العلماء هم مجموعة من أنصاف المثقفين جاءوا إليها من الخارج.

وقد لخص الشيخ محمد خير الدين وهو أحد أعضائها أهدافها عام 1935م بالقول:" إن أهداف جمعية العلماء تتمثل في إحياء الإسلام بإحياء الكتاب والسنة، وإحياء اللغة العربية وآدابها وإحياء التاريخ

1 - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 175.

2 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص ص 106-109.

الإسلامي وآثار رجاله الأولين"[1]، وذهب الإبراهيمي متحدثا عن الدور والوظيفة الإستراتيجية للجمعية بالقول:" إن جمعية العلماء حررت العقول، وصقلت الأفكار، وأيقظت المشاعر، والنتيجة الطبيعية لذلك كله، هي تحرير الأبدان، لأن الأول مدرجة إلى الثاني ".[2]

من المساهمات الهامة التي قام بها العلماء خلال فترة ما بين الحربين، خلق وبعث التاريخ الوطني فبفضلهم نشر الماضي الجزائري وعرفه الطلاب، وكانوا يدعون الجزائريين إلى اليقظة من سباتهم الطويل وكان العلماء يشعرون بتأخر الجزائريين بالمقارنة إلى الانجازات العلمية الأوربية ولكنهم كانوا يدعون إلى العودة إلى القرآن الذي يقولون أنه يحتوي على مفتاح التقدم، وأنه يحث جميع المسلمين على الاكتشاف والبحث.

وفي هذا الصدد كان ظهور مبارك الميلي كأول مؤرخ جزائري، حيث حاول أن يعيد كتابة تاريخ الجزائر على أساس وطني، وقد صدر الجزء الأول من مؤلفه " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " عام 1928م، والميلي باعتباره عضوا من العلماء فقد ركز على فكرتي الإصلاح والوطنية في عمله التاريخي، وقد استقبل الجزائريون عمل الرجل بالإعجاب، فقد اعتبر بعضهم الميلي المؤرخ الذي بعث الأمة الجزائرية، وقد كتبت جريدة النجاح في عددها ليوم 2 أكتوبر 1932م أن مؤرخي الجزائر الجديدة " قد نفضوا الغبار عن تاريخ أجدادنا... وبعثوا الحياة في بقايا أجدادنا"

وقد شن العلماء أيضا حملة على المستوى الاجتماعي، لم تكن أقل أهمية من الحملة التعليمية والثقافية، فطيلة مرحلة ما بين الحربين بادر هؤلاء أو شاركوا بآرائهم في عدد من القضايا التي شغلت الحياة الجزائرية عدة سنوات، وهذه القضايا تعالج التجنيس والتمثيل النيابي، والمرابطية، والقوانين الاستثنائية وغيرها، وتعد المرابطية أهم قضية تصدى لها العلماء بشدة، حيث كانوا يرون في الجمعيات الطرقية بأنها معاول هدم للدين وحواجز في وجه التقدم، وقد كتب الإبراهيمي ذات مرة: " إن المرابطية هي الاستعمار

1 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص ص 109-110.

2 - كريمة عرعار، دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2005-2006، ص 15.

في معناه الحديث المكشوف،وهي الاستعباد في صورته الفظيعة " كما هاجم العلماء بقوة محاولة فرنسا تجنيس الجزائريين، فقد كانوا ينظرون إلى هذه المسألة بأنها خطة فرنسية لمحو الإسلام، وعروبة الجزائر.[1]

كتب أحمد توفيق المدني متحدثا عن مآل قضية التجنيس والإدماج ورفضها من غالبية الشعب الجزائري واستحالة نجاح العملية: " فالذين يرون على قصر نظر وقلة بحث وعدم دراسة للوسط الجزائري أنه يمكن أن يجعل من هذا الشعب المسلم القومي الصلب شعبا فرنسيا بحتا مع طول الزمن في عوائده وأخلاقه ونظمه ولغته وتقاليده، إنما هم قوم يعللون النفس برؤية البدر ساطعا في رابعة النهار ".[2]

ويذهب الباحث عبد الكريم بوالصفصاف إلى القول: " والحق أنه لا يمكن حصر أهداف الجمعية في اتجاه واحد، فقادتها كانوا يتظاهرون بأنها جمعية دينية تهذيبية لا غاية لها إلا تهذيب المسلمين، وتربيتهم تربية إسلامية تتماشى مع المدنية الفرنسية، ولكن هذا الأسلوب لم يمن إلا غطاء رقيقا للأهداف الحقيقة التي كانت في جوهرها سياسية وطنية، أرادوا ذلك أم لم يريدوا، وقد اتضح ذلك في مواقف ومناسبات كثيرة، ويؤكد هذا الرأي الاضطهادات التي تعرض لها زعماء الجمعية كالزج بهم في السجون والمحاكمات ومختلف الاتهامات.

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 402-403.

2 - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، البليدة، الجزائر، 1963، ص 352.

المحاضرة السابعة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: نضالها السياسي ودورها الثقافي والاجتماعي (القسم الثاني).

الجمعية والإدارة الفرنسية:

في الواقع لقد روّع التقدم السريع الذي أحرزته ج ع م ج الطرق المرابطية، وأيضا الإدارة الاستعمارية، فهذه الأخيرة التي حذرها الملاحظون الأوربيون المختصون في شؤون الأهالي في عديد المرات، توصلت إلى خلاصة مفادها أن الدعاية الإصلاحية تشكل خطرا حقيقيا على السياسة الفرنسية في الجزائر، فالجمعية كانت وراء تغلغل الأفكار الوطنية في أوساط السكان المسلمين، مما أدى بالصحافة الأوربية المعادية للحركة الإصلاحية إلى تصويرها على أنها بعبع يحمل القومية الإسلامية، فضلا عن ذلك فان رهان المصلحين على بعث القومية العربية في الجزائر، مثّل مخاوف جدية وأرهب دعاة الجزائر الفرنسية.

كان تحرك الإدارة تبعا لتلك الهواجس، وأيضا لمساع قام بها أنصار المرابطية فشرعت في وضع الحواجز في طريق نشاط العلماء، وفي هذا السياق جاءت التدابير المتضمنة في منشور ميشال الصادر في شهر فيفري 1933م والذي نص على:

- منع الدعاة الإصلاحيين من الدخول وإلقاء الخطب في المساجد المسماة رسمية.
- مراقبة مختلف القائمين بالدعاية الإصلاحية، من نوادي ومحاضرات، وأنشطة داخل المدارس الحرة، ومضامين الصحف الممثلة لهذا التيار.
- إغلاق العديد من المدارس العربية بمدن مختلفة على غرار تلمسان، وسيق وسيدي بلعباس ومستغانم، وغليزان، وعين تموشنت الخ، ورفض فتح مدارس جديدة تحت قيادة إصلاحية وأكثر من ذلك حرمان القيادات الإصلاحية من حرية التحرك، وجرهم إلى المحاكمات والسجون.[1]

1 - علي مرّاد، المرجع السابق، ص ص 175-176.

ولكن هذه الإجراءات لم تفت في عضد الجمعية، بل زادتها تصميما، وكانت ردود الفعل الوطنية الشعبية قد شجعت الجمعية أيضا على المضي في رسالتها، فقد تلت الإجراءات الفرنسية احتجاجات صارخة، تمثلت في مظاهرات واجتماعات واضطرابات وذهب المتظاهرون في مدينة الجزائر إلى مقر الولاية وطالبوا بحرية الضمير والعقيدة وهذا الحراك الشعبي الجديد جعل أحد الكتاب يقول بأن هذه هي المرة الأولى التي يستعمل فيها الجزائريون الديمقراطية الأوربية من أجل أهدافهم الثورية مثل القيام بالمظاهرات في الشوارع، واللجوء إلى الاحتجاجات الشعبية.

ورغم الاضطهاد الذي سلطه منشور ميشال على العلماء وصحافتهم ومدارسهم وعلى الحرية الدينية والصحفية وتعليم العربية، فقد جاء بنتيجتين: الأولى يقظة العلماء إلى ما تبيّته لهم الإدارة والثانية إنشاء لجنة مختلطة في باريس تضم أعضاء من مختلف الوزارات وتهتم بدراسة أحوال الجزائر والمستعمرات وهذا الطرح الأخير يظهر المحاولة الفرنسية لذر الرماد في العيون، بالحديث عن نمط جديد من التعاطي مع قضايا الأهالي بإرسال اللجان والشخصيات والحديث عن المشاريع الإصلاحية[1].

إن قرار فيفري 1933م الآنف الذكر بغلق المدارس الحرة والمساجد في وجه العلماء المصلحين، لم يثر فقط رجال الجمعية والشعب، بل أثار أيضا النواب الجزائريين من مختلف المجالس المحلية، لذلك قصد وفد منهم العاصمة الفرنسية خلال شهر جوان 1933م ليشتكي من الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي كانت تعيشه الجزائر وللاحتجاج لدى الحكومة الفرنسية على إجراءات منشور ميشال، ولكن وزير الداخلية شوطان رفض استقبال الوفد، بدعوى أنه غير مؤهل للقيام بهذه المهمة.[2]

يرى بعض المفكرين، أن الحملة المسعورة التي شنتها الإدارة الاستعمارية ضد الجمعية، قد أظهرت متانة وتماسك ووحدة الصف لدى العلماء، والتغيير الذي حدث في صفوفها وفرضته عمليات الملاحقة والتهديد والتضييق على أنشطتها، يتمثل في تقرب ابن باديس من الحركات السياسية في الجزائر، وسعيه للحصول على دعم تلك الأحزاب والتنظيمات لمواقفه المعلنة ضد السلطات الاستعمارية، مما مكنه من

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص 23-24.

2 - المرجع نفسه، ص 44.

نسج صلات قوية لاسيما مع اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين، التي وجدت في الجمعية جسرا للعبور إلى الفئات الشعبية، وكسب ولائها خصوصا في المواسم الانتخابية.[1]

إن زعامة العلماء للمؤتمر الإسلامي بالرغم من إسناد الرئاسة إلى ابن جلول لم تكن لتمر هكذا دون أن تخلف ارتدادات طاولت الجمعية نفسها، ذلك أن تعاونها مع الأحزاب والقوى السياسية الأخرى ومطالبتها بالحصول على التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي، وتعليم اللغة العربية في المدارس الجزائرية، أدى إلى سلسلة من التحديات التي واجهتها جمعية العلماء، فقد بدأت مع الفتوى التي أصدرها المفتي كحول بن دالي تحت ضغط السلطة الفرنسية، والتي جاء فيها أن أعضاء المؤتمر الإسلامي لا يمثلون السكان المسلمين، وبأنهم أقلية من المهرجين الذين يريدون إثارة الفوضى في البلاد، كما وجه انتقادا لاذعا للعلماء أشار فيه إلى عدم أهليتهم لافتقارهم إلى الشهادات العلمية وبأن ذهابهم إلى باريس كان لأغراض دينية سياسية.[2]

ورغم النجاح الذي حققه العلماء على المستوى الجماهيري، فإنهم واجهوا أزمتين حادتين على مستوى القيادة كادتا تحطمان جمعيتهم، فالأزمة الأول تتمثل في الاتهامات الفرنسية التي وجهت إلى الشيخ الطيب العقبي ومن ورائه الجمعية ككل بالوقوف وراء جريمة اغتيال المفتي محمود كحول المعروف بابن دالي وهي الوقائع التي حدثت على إثر نجاح المؤتمر الإسلامي، ذلك أن هذا المفتي قد عارض مطالب المؤتمر وأرسل برقية إلى الحكومة الفرنسية ذكر فيها بأن الوفد لا يمثل سوى مجموعة من الغوغائيين الذين يريدون إثارة الفوضى والاضطراب، وأنهم لا يمثلون الرأي العام بالجزائر، ولعل إلقاء التهمة على العقبي بالذات كان مدبرا، فهو الرجل الثاني بعد ابن باديس، ولأن هذا المصلح قد استطاع أن يستقطب الأضواء في العاصمة ويجعلها معقلا للفكر الإسلامي ويتموقع بشكل لافت في مدينة تعد مركزا للمستوطنين، ولأنصار الإدارة من الجزائريين كما أنه قد تصدى بقوة وبشجاعة للقوانين الظالمة على غرار منشور ميشال 1933م وقرار رينيه 1935م.

وبالفعل، فإن هذا الحادث قد نجح في إضعاف المؤتمر، والتأثير على الشيخ العقبي فقد وافق ابن جلول على الاتهامات ومن ثمة استقال من رئاسة المؤتمر ووقعت أزمة بين النواب والعلماء، وبالنسبة

1 - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 256.

2 - المرجع نفسه، ص 261.

للعقبي الذي تضررت سمعته من أخبار الصحف فقد تأثر أيضا بمعاناة السجن والشعور بأن مساندة زملائه في الجمعية لم تكن في حجم المحنة التي ألمت به، مما خلق حالة من الفتور بينهما بدءا من عام 1937م.

وأما الأزمة الثانية التي واجهتها الجمعية فهي الخلاف الذي نشب على مستوى المجلس الإداري سنة 1938م حول الموقف من فرنسا، فغداة الحرب العالمية الثانية سعت فرنسا إلى الحصول على ولاء وتضامن الجزائريين معها، وفي اجتماع الجمعية العادي لشهر سبتمبر من السنة المذكورة تمت مناقشة قضية برقية التأييد كما فعلت أطياف أخرى، فكان رأي الشيخ العقبي الذي لا يزال عندئذ تحت الاتهام إرسال البرقية لغرض المحافظة على ديمومة نشاط الجمعية وسد الطريق على المستعمر للتعرض لها، لكن مقترحه لم يمر حيث صوتت الأغلبية بعكس ذلك بما في ذلك ابن باديس مما دفع العقبي إلى الاستقالة من المجلس الإداري والاحتفاظ بعضوية الجمعية.[1]

كتب مالك بن نبي محللا مواقف العلماء من السياسة الفرنسية في الثلاثينيات " ولم يكن العلماء على جانب من الخبرة بوسائل الاستعمار في مجال الصراع الفكري، حتى يفطنوا إلى هذا الانحراف، ولم يكن لديهم من حدة المزاج، وصرامة الإرادة ما يكفي حتى يتداركوا الموقف ".[2]

والواقع أن حركة العلماء كانت متعددة الأهداف، إذا نظرنا إليها نظرة المعاصر الذي يوزع المسؤوليات على أصحاب الاختصاص ، فالمعاصرون وزعوا أحمال الوطنية على هيئات معينة وخصوا كل هيئة بحمل، فأعطوا النخبة صفة الاعتدال وتأييد الاندماج وأعطوا النجم صفة الثورية والانفصال عن فرنسا ومعاداة الفرنسيين، ومنحوا العلماء صفة الدفاع عن العروبة والإسلام وإصلاح الدين والمجتمع ولكن الحقيقة أن العلماء كانوا مصلحين بالمعنى الشامل للإصلاح والإصلاح بهذا المفهوم قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع، ولكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة بما في ذلك السياسة.[3]

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص ص 100-102.

2 - مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ط2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1984، ص 319.

3 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 88.

المحاضرة الثامنة: التيار الإدماجي: أفكار ومواقف ونشاطات

تشير المصطلحات التي وسم بها هذا التيار نفسه أو تبنتها الأدبيات المؤرخة لأنشطته إلى مميزات الفكر الذي حمله الناشطون المنتسبون إليه وعبرت عنه مطالبهم وأطروحاتهم، وقبل استعراض تجليات المواقف والممارسات لجماعة النخبة ذات الثقافة الفرنسية نرى من الضروري الوقوف عند مفهوم الإدماج وواقعه.

الإدماج l'Assimilation: يعني في الظاهر تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في كل شيء أي بعبارة أخرى تحقيق التماثل بين المستعمرة ودولة الاحتلال كما لو كانت الأولى مجرد امتداد للثانية فالتشريع واحد، والنظم واحدة، والاقتصاد واحد والمالية واحدة، أما باطنيا فهو مخالف تماما لما يدل عليه المصطلح من الجوانب القانونية والإدارية والسياسية ذلك أن المستعمر أراد دمج أرض الجزائر في فرنسا دون التسوية بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات.[1]

إن الحديث عن تأثير المدرسة الفرنسية في تحديد ملامح توجه مناضلي وزعماء هذا التيار قد أخذ حيزا هاما في الكتابات التي تصدت بالدراسة والتحليل لفهم مكونات هذا الفصيل وطبيعة مواقفه ومحاولة استيعاب المراجعات التي تمت لدى بعض قياداته البارزة وأيضا مواقف التطرف التي لازمت العديد من رموزه.

وبشأن النقطة المتعلقة بمدى تأثير الثقافة والتكوين الفرنسي يذكر فرحات عباس الآتي: " هل كان في إمكان التعليم الفرنسي أن يفقدنا شخصيتنا ويفصلنا عن ماضينا؟ لم أعتقد هذا أبدا فالإسلام هو وطني الروحي بلا حدود يوجهنا من المهد إلى اللحد، إنه يتمثل الثقافات الأجنبية دون أن يذوب فيها، ولا حتى أن يتشوه أو يضعف وبناء عليه فقد بقيت مسلما وجزائريا بكل شعيرات روحي، ولكن الثقافة الفرنسية أعطتني حسا رفيعا في الحياة وجعلتني أقدر قيم الديمقراطية والإنسانية الحقيقية ".[2]

وعن الموقف من سياسة تجاهل وتحطيم العنصر الأهلي ورفض تعليمه وترقيته يكتب فرحا عباس " لا توجد هناك إلا سياسة واحدة يمكن لها أن تحفظ مصالح فرنسا والحضارة، وهي سياسة تطويرنا

1 - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931 – 1956م، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص ص 113-114.
2 - فرحات عباس، المصدر السابق، ص 35.

المشروع، ونهوضنا الاجتماعي، هل تريدون أن تجعلوا من الجزائر أرضا شقيقة للأرض الفرنسية؟ علموا الجزائري واربطوه اقتصاديا وإداريا بفرنسا المركزية ووجهوا اهتمامه بما أنجزته هل تريدون أن تحضروا هذا البلد؟ حضروا ساكنيه ليس هناك من صيغة أخرى".[1]

وبشأن طبيعة كفاح النخبة ونظرة الأجيال اللاحقة إليها كتب فرحات عباس : " منذ استقلال الجزائر كان هناك شبان جزائريون ممن لم يعرفوا وطأة ليل الاستعمار ولا الاستعباد يسمحون لأنفسهم بالسخرية منا وبتوبيخنا ومراقبة كتاباتنا... فهل كانوا سيفعلون أفضل مما فعلنا لو كانوا في مكاننا؟ لقد كان عددهم قليلا في زماننا أولئك الذين يستطيعون من أبناء جلدتنا أن يرفعوا أصواتهم... إنني ذو طبيعة مسالمة وأفضّل التفاهم المشرّف على العنف ...لهذا بحثت زمنا طويلا عن حل توافقي ، وتحقيق التقدم بفضل التثقيف العلمي للجماهير الشعبية ".[2]

لقد ارتبط بروز نخبة العقد الأول من القرن العشرين بالنقاش الذي صحب قرار التجنيد الإجباري، بينما جاء انتعاش نخبة العشرينيات بفعل إصلاحات 1919م وحركة الأمير خالد، في حين تحركت نخبة الثلاثينيات متعلقة بأذيال مشروع بلوم فيوليت الذي التفت حوله ووضعت فيه كل آمالها وكأنه كان بالنسبة إليها هدية من السماء

وإذا كانت نخبة الثلاثينيات قد استطاعت أن تكسب العلماء ولاسيما أثناء المؤتمر الإسلامي، فإنها لم تتمكن من تكوين حزب سياسي ولا حتى جمعية في مستوى العلماء، ولم تكن كتلة النواب سوى تجمع مرتخ غير متماسك، أي تيار عام ليس له تنظيم قوي يعتمد عليه، ومن ثمة لم يكن في مقدوره أن يصنع رأيا عاما في البلاد، وأخطر شيء كان يواجه هذه الجماعة هو الضياع والخضوع للتأثيرات الخارجية، وبالتالي فقدان سلاح المبادرة، وقد صدق من قال أن هذه الجماعة قد رفضها المجتمع الفرنسي، وخيب آمالها مشروع بلوم فيوليت، وهي توجد وسط محيط من الأهالي ، ملعونة من العلماء كمجموعة من الملحدين والكفرة.[3]

1 - فرحات عباس، المصدر السابق، ص ص 108-109.

2 - المصدر نفسه، ص 34.

3 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص 59.

لقد كانت مواقف هذه الجماعة متأرجحة، فتارة يمدحون فرنسا ويذمون تعصب المسلمين ويشيدون بالتسامح الأوربي، وتارة يهاجمون الكولون، ويدافعون عن الإسلام وحضارته، فهذا ابن الحاج رئيس نادي الإخاء يعلن سنة 1933م قائلا:" إن الجزائريين فرنسيون سواء كانوا يتمتعون بالحقوق المدنية أم لا ، وسواء كانوا متعلمين أم لا ... فديننا لا دخل له في جنسيتنا التي هي ولا يمكن أن تكون سوى فرنسية " ، ومن جهته كتب أحد أعضاء النخبة محمد كسوس عام 1931م معلقا على الاحتفالات المئوية بأنها كانت مهينة دون أن يذهب أبعد من ذلك ، بل اعترف مؤكدا: " بأن جيلنا فرنسي فكريا رغم أنه يحتفظ بدينه ولغته وعاداته، ومع ذلك فانه لا يتصور أي شكل سياسي غير الشكل الذي تمثله فرنسا ".

على الرغم من هذا الخطاب الانهزامي، فان فرنسا لم تحقق لهؤلاء ما كانوا يطمحون إليه، فقد استمر سريان مفعول قانون الأهالي، ومطاردة زعماء التيارات المؤثرة في الجماهير والمتمثلة في جمعية العلماء ونجم شمال إفريقيا، ولقد عبرت صحيفة الوفاق في أوائل عام 1937م عن هذا الشعور بالخيبة حين كتبت :" وكل الوعود التي صدرت عن الحكومة والإدارة، وكل الخطب الرنانة التي فاه بها رجال البرلمان لم يكن لها أية نتيجة ملموسة ".[1]

مطالب ومواقف النواب:

اتبع النواب والنخبة خلال الثلاثينيات سياسة المطالبة بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين مع الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين، بمعنى أنهم كانوا مع فكرة الاندماج عن طريق الحقوق لا عن طريق التجنس، فالطرح الأول يجعل منهم فرنسيين مسلمين بينما يجعلهم الاختيار الثاني فرنسيين مسيحيين أو لا دين لهم، وهذا المأزق الذي وضعهم فيه القانون الفرنسي هو الذي حاولوا أن يخرجوا منه عن طريق مشروع فيوليت تارة والمؤتمر الإسلامي تارة، والتقرب إلى فرنسا في خطوة ثالثة، غير أن جميع المحاولات قد فشلت.[2]

كتب فرحات عباس قائلا " وبالنسبة للنخبة المسلمة في هذه الحقبة فان الاختيار بدا لها واضحا، ويتمثل في الطعن في السلطة الاستعمارية، والتوجه بالنداء إلى فرنسا الليبيرالية، والى مبادئها والى

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 61-62.

2 - المرجع نفسه، ص ص 62 -63.

إعلان حقوق الإنسان، ظلت هذه النخب من 1890 إلى 1939م وطيلة أجيال عديدة تطعن وباستمرار في النظام الاستعماري بالرغم من ضعف الوسائل ، وتطالب بالمساواة مع الأوربيين، ولم تقبل بأن يعدّ انتماؤها إلى الدين الإسلامي سمة نقص، ليجلب لها وللشعب الجزائري وصمة مستديمة أشبه ما تكون بالنجمة الصفراء" ، والنجمة الصفراء يشير بها الكاتب إلى النجمة السداسية لليهود الذين أجبروا في بعض البلدان الأوربية على حملها تمييزا لهم عن غيرهم.[1]

وتحدث مفسرا ذلك الطرح القائم على التفريق بين المعمرين والفرنسيين في الضفة المقابلة حيث ذكر: " هذا يفسر إصرار جيلي وإصرار الأجيال السابقة لنا على الالتجاء إلى فرنسا الجمهورية التحررية رجاء أن تساعدنا على القضاء على مذهب الجنس الأعلى والجنس الأسفل اللذين كانا يعتبران مذهبين زائفين مزريين ولكن في نفس الوقت كان يؤمن بان الجزائر الجديدة ستبرز من المدرسة ومن العلوم التقنية، وبان بذور الحرية تكمن في طوايا العقل، وكان يؤمن بان تعاونا بين شبانا جزائريين وأحرارا فرنسيين سيفضي شيئا فشيئا إلى إنشاء ديمقراطية حقه ".[2]

والنخبة التي تعلقت بفرنسا تعلقا وثيقا رفضت خلال الثلاثينيات الاعتراف بوجود أمة جزائرية فقد أشرنا من قبل إلى ما طرحه ابن الحاج في هذا الصدد، أما ابن جلول فقد نفى أن تكون هناك وطنية جزائرية، وكل ما هناك في رأيه هو الوطنية الفرنسية، فقد كتب في جريدة " الوفاق l'entente " خلال شهر فيفري 1936م أنه من الخرافة الحديث عن الشغب وعن الجامعة الإسلامية في الجزائر لأن كل الأعمال والكتابات التي تصدر عن الشبان الجزائريين هي أعمال وكتابات فرنسية، حيث كتب بهذا الخصوص: " الشيوعية، الجامعة الإسلامية ألم نرفض ألف مرة هاتين الفكرتين المتناقضتين... وإذا كان لدينا وطنية أفليست هي فرنسية لحما ودما ؟"[3].

وأثناء نفس المدة أعلن فرحات عباس رأيا أكثر وضوحا وصراحة حول هذه المسألة، عندما كتب مقالا بعنوان فرنسا هي أنا، ضمّنه إنكاره وجود وطن جزائري" إن الوطنية هي هذا الشعور الذي يدفع شعبا ما إلى الحياة داخل حدوده الترابية، الشعور الذي خلق هذه الشبكة من الأمم ولو اكتشفت الأمة

1 - فرحات عباس، المصدر السابق، ص 29.

2 - فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار، تعريب أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب د.ت، ص ص 131-132.

3 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 281.

الجزائرية لكنت وطنيا ... على أني لن أموت من أجل الوطن الجزائري، لأن هذا الوطن لا وجود له فإني لم أعثر عليه، وسألت التاريخ، وسألت الأحياء والأموات، وزرت المقابر فلم يحدثن عنه أحد، فلا يقام البناء على الريح... وما يراد محاربته من وراء هذه الكلمة إنما هو تحررنا الاقتصادي والسياسي، فبدون تحرر الأهالي لن تكون هناك جزائر فرنسية دائمة "[1]، ومن الجدير بالتنويه أن الرجل قد عدل رأيه لاحقا مع تطور الأوضاع في الجزائر، وعدم قيام فرنسا بمراجعات ملموسة لمواقفها وسياستها تجاه الجزائريين عموما، وجماعة النخبة على وجه الخصوص، ومن ثمة يرى البعض أن فرحات عباس قد قام بذلك بعد أن يئس من الوطن الفرنسي، وعلى ما ذهب إليه الكاتب جان لاكوتير، فإن كل حياة عباس هي تاريخ البحث عن وطن في فرنسا،[2] وقد علّق الباحث يوسف مناصرية على ذات الموقف بالقول:" أن السيد فرحات عباس في هذا النص يظهر وكأنه أحد المستشرقين الذين ينظرون إلى الجزائر وكأنها جزء من فرنسا، فهي التي أعطتها اسمها، وبينت حدودها، وأخرجتها من جهلها ووحشيتها ".[3]

لقد كان فرحات عباس يفكر في مسألة الاندماج بكيفية مغايرة لأقرانه في حركة الشبان فهو ينطلق من معطى : " أنا أهل للاندماج لأنني أملك مثلكم حضارة راقية، ولست من أحط البشر كما تعتقدون"، كما أن الاندماج عنده لا يجب أن يعني النخب والبرجوازية دون عامة الناس كما كانت تريد فرنسا، فاظهر بذلك شعبوية منقطعة النظير أكد من خلالها انه ابن الشعب.

إن ما كتبه فرحات عباس في الشاب الجزائري، وتأكيده على الوجه المشرق للإسلام في القرون الماضية، يعكس في الواقع رغبته الدفينة لإبراز خصوصيات الذات بدل طمسها واحتقارها كما فعل زملاؤه على غرار الشريف بن حبيلس وأوغسطين ونراه في مؤلفه ليل الاستعمار يكتب " إن ثقافتنا لم تفصلنا عن شعبنا بل بقي فكرنا دائما عالقا به لاصقا بأولئك الذين بقوا وراء القافلة ".[4]

ويثني جوليان على أفكار عباس، معتقدا أن أفكاره التي طرحها بين سنوات 1921 – 1930م وجمعها في كتاب قد كان لها تأثير بالغ على الشباب الأهلي، وهي تشكل وثيقة هامة لدراسة نشأة الوطنية، حيث تضمنت نقدا لطيفا ولكنه صارم للسياسة الاستعمارية ودفاع حار عن الحضارة

1 - شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 133.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 71-72.

3 - يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 17.

4 - عبد القادر حميد، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص ص 42-43.

الإسلامية، وأن الفكرة الجوهرية في تلك المقالات تتلخص في ضرورة الانتصار على الاستعمار، حتى يتحقق الوفاق المطلوب بين الفرنسيين والجزائريين، ومع ذلك فلم يرد فيها كلام عن الأمة ولا عن الوطنية.[1]

يرى البعض أن فرحات عباس قد سعى إلى مد جسور متينة بين الأهالي والكولون ووضع حد لسياسات فرنسية عنصرية قائمة على القوة وحدها، وباسم الثقافة الفرنسية وروح ثورتها المحررة، كان يأمل تحقيق تصور لمجتمع متجانس خال من العبودية، كأنه أراد أن يجسد أفكار ثورة 1789م، فصيحته الشهيرة " فرنسا هي أنا " التي جلبت له كثيرا من المتاعب وسوء الفهم، يمكن وضعها ضمن هذا الإطار.[2]

لقد تساءلت جريدة الأمة لسان حال حزب الشعب: كيف يمكن لمثقف مسلم أن يعبر عن مثل هذه المواقف التي اعتبرتها شنيعة، فطرحت مسألة الوطنية وربطتها باستقلال الجزائر، ومن جهتها اتهمت جريدة الدفاع الناطقة بالفرنسية والمقربة من ج ع م ج فرحات عباس بالولاء لفرنسا فكتبت مخاطبة إياه بالقول: لست سوى عبد رومي خاضع للأوامر الاستعمارية.[3]

بحلول العام 1938م وفي سياق التجاذبات الحاصلة بين أجنحة الحركة الوطنية وتداعيات المؤتمر الإسلامي ومشروع بلوم فيوليت، خاض ابن جلول تجربة جديدة من خلال لجوئه إلى تشكيل ما يسمى " التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري "، محاولا استثمار النزعة الوحدوية التي أظهرها العلماء وحزب الشعب، في خطوة لمواصلة انجاز برنامج الرغبات والمطالب، حيث جمع ألوانا متنوعة من الفعاليات فكان إلى جانبه ابن باديس وعدد من النقابيين، وقسما من حزب الشعب، ونوابا أوربيين عن النقابات وقدماء المحاربين، والحزبين الاشتراكي والشيوعي.

ومن جهته أسس فرحات عباس " الاتحاد الشعبي الجزائري " لكسب حقوق الرجل والمواطن يرمي إلى جمع الجماهير غير المنظمة حول المنتخبين، وكتب يقول : " الغلبة رهينة عمل جماهيري

1 - شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 132.
2 - عبد القادر حميد، المرجع السابق، ص 47.
3 - المرجع نفسه، ص ص 69-70.

فالأسواق والمقاهي وأبسط الأكواخ، ينبغي أن تكون ميادينا للعمل...نريد أن تحافظ الجزائر على مظهرها الخاص، وعلى لغتها وأخلاقها وتقاليدها والإلحاق لا يعني الإدماج ".[1]

إن هذه المبادرة المزدوجة والتي تمت في آن واحد، تدل على أن المنتخبين كانوا لا يؤلفون كتلة منسجمة، وإذا لم يكن لمعظمهم معتقدات سياسية ثابتة ، فإنهم لم يستطيعوا أو لم يحسنوا الانصهار في أحزاب تمكنهم من اتجاهات ثابتة ودائمة، فقد اقترب بعضهم من البعض، أو ابتعدوا عن بعضهم بعضا حسبما تمليه عليهم انفعالات طبائعهم، لكنهم بقوا متفقين فيما يتعلق بجوهر الرغبات، وكانت خيبات الأمل والتخوفات تجمعهم من جديد.[2]

وعشية دق طبول الحرب العالمية الثانية، سارع رجال النخبة على غرار قادة الزوايا والطرقية والأعيان والمفتين، والأئمة الرسميين إلى إعلان تأييدهم وولائهم لفرنسا فقد تطوع ابن جلول، وفرحات عباس، والدكتور الأخضري وأمثالهم لخدمة العلم الفرنسي دفاعا عن الوطن الأم المهدد، وقدموا بذلك القدوة لأنصارهم، وأصدر ابن جلول زعيم النخبة خلال الثلاثينيات بيانا إلى الجزائريين، حثّهم على الوقوف إلى جانب باريس مذكرا بمواقف تأييدية سابقة خلال حرب 1870م والمواجهة العالمية 1914م موضحا بأن هذه المشاركة تعني مناصرة السلام والحرية والديمقراطية.[3]

1 - شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 152.

2 - المصدر نفسه، ص 153.

3 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص ص 79-80.

المحاضرة التاسعة: التيار الشيوعي وموقعه ضمن الحركة الوطنية: نشاطات ومواقف.

تمهيد/

نظرا للعلاقة الاستعمارية الخاصة بين الجزائر وفرنسا، فان الأفكار والأيديولوجيات الأوربية قد وجدت طريقها بسهولة كبيرة إلى الأهالي الجزائريين، ومع ذلك فان الأمية لدى الجماهير الجزائرية كانت حاجزا قويا بينهم وبين الأيديولوجيات الأوربية، ومع ذلك فقد كان هناك مثقفون ونصف مثقفين استطاعوا باتصالهم المباشر مع الفرنسيين أن يدركوا ويهضموا بعض هذه الأيديولوجيات.

ومن بين جميع المذاهب الجديدة التي تسربت إلى الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى كانت الشيوعية في مقدمتها ولو كان ذلك سطحيا، والواقع أن الشيوعيين الفرنسيين هم الذين كانوا مسؤولين على إدخال الفكرة الشيوعية إلى الجزائر، وبناء على رأي المعاصرين، وقد كتب مارتينيير منذ عام 1922م، أن منشورات الانضمام إلى الحركة الشيوعية العالمية قد عثر عليها في منطقة القبائل، وهذه المنشورات التي كانت مطبوعة في مرسيليا كانت تحمل مدحا للينين ونظامه.

وقد حاول بعض الكتاب في هذه الفترة الربط بين تسرب الأفكار الشيوعية وفكرة الجامعة الإسلامية محاولين إثبات وجود تعاون بين الإيديولوجيتين للقضاء على الوجود الفرنسي بالجزائر وباقي شمال إفريقيا[1]، وفي أول ماي 1920م وقع إضراب عام في أهم المدن الجزائرية، وكان هذا الإضراب الذي جاءت أوامره من باريس سياسيا في ملامحه وأهدافه، ولكن كان له أيضا نتائج اقتصادية، ففي مدينة الجزائر شارك ما بين 1200 الى 1500 شخص في استعراض صاخب تميز بترديد نشيد الحركة الشيوعية العالمية، وفي وهران حدث استعراض كبير اضطر مؤطروه إلى الحديث بالعربية في مخاطبتهم للجمهور المشارك بحسب ما ذهب إليه الكاتب ديمونتي مما يؤشر على أن كثيرا من المشاركين كانوا جزائريين.

كتبت صحيفة " الخطر الشيوعي" خلال سنة 1922م افتتاحية قالت فيها أن الشيوعيين قد اختاروا الجزائر حقل تجارب لهم، وقد اختار الحزب الشيوعي الفرنسي النائب فاليان كوتوريي ممثلا له في إفريقيا الشمالية، وهذا الأخير عرض تقريرا عن كيفية استغلال الجزائر لصالح الفكرة الشيوعية أوضح من

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 330-331.

خلاله أنها ستواجه نوعين من الخصوم وهما الزعماء السياسيون الدينيون الجزائريون، والكولون الأغنياء طغاة الجزائر.[1]

وتعتبر سنة 1924م محطة مهمة في مسيرة التغلغل الشيوعي، فقد قام الحزب الشيوعي الفرنسي بنشاطات حثيثة ومنها خلق فدرالية الجزائر وكان مقرها العاصمة وهي خطوة في طريق إنشاء الحزب الشيوعي الجزائري والذي تأخر ظهوره إلى غاية منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي، وقد أصدرت الفدرالية جريدة تحت اسم " الكفاح الاجتماعي la lutte sociale "، ولم تكن لها سياسة مستقلة في الجزائر، بل كانت تتبع الأوامر من الخارج، وتتعاطا مع المشكل الجزائري داخل إطار المشاكل الداخلية الفرنسية، وليس باعتباره قضية وطنية جزائرية، وقد اهتمت بالعمال الفرنسيين في المدن الرئيسة، وأهملت الجزائريين الذين كانوا عادة يعيشون في الأرياف.

بدأ الحزب الشيوعي الفرنسي حملة لتجنيد الجزائريين وغيرهم من أهالي إفريقيا الشمالية إلى صفوفه، وكان من بين هؤلاء حاج علي عبد القادر، ومحمد بن الأكحل وهما اللذان سيشتركان لاحقا في تأسيس نجم شمال إفريقيا، كما منح الحزب الشيوعي تأييده المعنوي والفعال إلى الوطنيين في تلك المنطقة وإتباعا لهذا الخط نجد قادة الحزب الشيوعي يمنحون تأييدهم للمؤتمر الأول لأهالي إفريقيا الشمالية المنعقد بباريس في أواخر عام 1924م، حيث حضر أشغاله النائب الشيوعي دوريو الذي استقبل بتصفيق لافت والذي وعد بتأييد الشعوب المضطهدة، ودعا إلى الصداقة بين البروليتاريا الفرنسية والشمال افريقية، وأنهى خطبته بالقول: يحيا تحرير الشعوب المضطهدة، تسقط الامبريالية الفرنسية.[2]

يرى البعض أن الشيوعيين في بداية انتشارهم بالجزائر لم يكن لهم سعي إلى تجنيد الجزائريين بغرض الانفتاح على أوضاع المستعمرة، أو التواصل مع الأهالي، وإنما كان وجودهم في ظل سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي القائمة على مبدأ الهيمنة والاحتواء لجميع التنظيمات الشيوعية في المستعمرات الفرنسية.[3]

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 331-332.

2 - المرجع نفسه، ص ص 333-334.

3 - شبوب محمد، الجزائر في الحرب العالمية الثانية 1939-1945م: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2014-2015م، ص 49.

شهدت سنوات 1925-1927م ملاحقات وتضييقات على النشاطات الشيوعية من طرف الحاكم العام فيوليت، وقد تمكن من عرقلة تلك النشاطات بعض الوقت، ولم يستأنف هؤلاء تحركاتهم إلا سنة 1927م ويجد الدارس في جريدتهم العربية " الراية الحمراء " التي يبدو أنها ظهرت سنة 1926، دون أن نعرف عنها أكثر من ذلك،والتي كانت موجهة لأهالي إفريقيا الشمالية وللمشارقة على غرار السوريين واللبنانيين، تأييدا للخط العام الذي اختاره الوطنيون، ونعثر في كتاباتها على مواقف مناهضة للسيطرة وداعمة للاستقلال ويجد المرء في أحد أعدادها صورة كاريكاتورية ساخرة تظهر الفلاحين الجزائريين سائرين وراء العلم الشيوعي مع المطرقة والمنجل ضد الكولون والجيش الفرنسي.

وخلال نفس الفترة أي 1927م استعمل الشيوعيون المناشير والإعلانات بالإضافة إلى الصحافة لنشر أفكارهم بين الجزائريين، فقد وزع منشور مزدوج اللغة يدعوا الأهالي إلى الانضمام إلى حركة الشباب الشيوعي[1] وقد أعطى الاحتفال المئوي بالاحتلال الفرنسي فرصة رائعة للحزب الشيوعي الفرنسي لمهاجمة الامبريالية الفرنسية وللمناداة بالتآخي والصداقة بين البروليتاريا الفرنسية والجزائرية وعلقت الصور على جدران المدن تصور التعاسة الجزائرية وسيطرة المستوطنين على الأهالي، وكان من تلك الصور واحدة لمعمر فرنسي جسمه في فرنسا ويداه ممتدتان عبر البحر المتوسط إلى الجزائر والمغرب غير أن هذه النشاطات وأخرى لم تكن لتحقق نتيجة على الأرض ذلك أن هذا التيار تأرجح بل تمزق بين أيديولوجيته العالمية في إطار الكومنترن وبين وأعماله القومية.[2]

ميلاد الحزب الشيوعي الجزائري:

لقد ظهر الحزب الشيوعي الجزائري بهذه التسمية رسميا خلال انعقاد المؤتمر التأسيس الملتئم بالجزائر العاصمة خلال شهر أكتوبر 1936م بعدما كان قد تلقى الضوء الأخضر للتحول من فرع للحزب الشيوعي الفرنسي إلى حزب مستقل وهي الخطوة التي وافق عليها المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الفرنسي الذي جرت أشغاله في الفترة 22-25 جانفي 1936م بفرنسا، وقد شارك فيها المناضل عمار أوزقان ممثلا عن شيوعيي الجزائر، وقد تضمن البيان التأسيسي للحزب في مدينة الجزائر الآتي: " إن إنقاذ الجزائر من الانحطاط والدمار لا يكون إلا بتحرير العامل والفلاح من وطأة الكولون، ومن ظلم

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 335-336.

2 - المرجع نفسه، ص ص 335-337.

قانون الأنديجينا الجائر، وأن ذلك لا يتحقق إلا في إطار الحزب الشيوعي الجزائري النابع من صميم الشعب ".[1]

يرى البعض أن تحويل الفدرالية الجزائرية إلى حزب شيوعي جزائري يهدف إلى إضفاء مسحة وطنية على التنظيم، حيث تعززت بترقية جزائريين إلى مناصب المسؤولية مثل عمار أوزقان، وبن علي بوخرط، ليكونوا وسطاء بين الجزائريين المسلمين، وتغلغل الدعاية الشيوعية إلى بني جلتهم، بمخاطبتهم باللغة التي يفهمونها، مع ايلاء عناية تاكتيكية بالتاريخ الوطني، وذلك باعتبار الشيوعيين الجزائريين أنفسهم جديرين بمواصلة كفاح الأبطال الوطنيين.[2]

شرع الحزب في إنشاء فروع له على المستوى الوطني، لاسيما بالمدن الكبرى الجزائر ووهران تباينت في تركيبتها البشرية بين جزائرية خالصة ومزيج ين الجزائريين والأوربيين، كما أصدر عددا من الجرائد باللغتين العربية والفرنسية وتتمثل في "الكفاح الاجتماعي la Lutte Sociale" و" الجزائر الجديدة L'Algérie nouvelle" و" الجزائر الجمهورية Alger républicain " و" الحرية liberté" وذلك لغرض إيصال أفكاره إلى الجماهير.[3]

وفي تقدير أحد الباحثين، فإن بيان الحزب الشيوعي الجزائري يهدف إلى تحرير العامل والفلاح الجزائري والفرنسي من استبداد البرجوازية والإقطاعية، سواء أكانت داخل المستعمرة ،أم في الضفة الأخرى، ولم يكن يروم إطلاقا السعي للحصول على الاستقلال الكامل، ولعل ذلك جاء واضحا في عباراته " لكننا لسنا من أنصار المبدأ الخاطئ: الكل أو لا شيء "، وهو يشير بذلك إلى المطالبين بالاستقلال التام دون قيد أو شرط.[4]

وبالنسبة لشارل أندري جوليان، فان أطروحات هذا الحزب تتناغم مع رؤية الإصلاحيين من العلماء المؤيدة لاستقلال تمنحه فرنسا بحرية في شكل اتحاد فدرالي وليس على سبيل الانفصال وهو ما تضمنه البرنامج الذي صادق عليه المؤتمر الشيوعي يوم 24 أكتوبر 1936م والذي جاء فيه " من أجل

1 - محمد شبوب، المرجع السابق، ص ص 49-50.

2 - مصطفى أوعامري، " الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية 1920 – 1954م "، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، .جوان 2016، ص 458.

3 - محمد شبوب، المرجع السابق، ص 51.

4 - يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 27.

جزائر حرة وسعيدة متحدة اتحادا أخويا مع الشعب الفرنسي ومع جميع الشعوب الأخرى يحتوي بالخصوص على جدول للإصلاحات التي يتعين على فرنسا انجازها، وقد عوض مطلب الاستقلال التام بمطلب أكثر مرونة " وإذا خلعنا أغلال الإلحاق والاضطهاد التي تشدنا إلى فرنسا الامبريالية فلربط صلات أخوة متينة تجمع بحرية بين شعبنا وشعب فرنسا العظيم في كنف المصالح المشتركة ".[1]

يرى محمد حربي، أن الحزب الشيوعي وعلى الرغم من أنه " لم يستطع تطوير ما يحويه نظريا من استعدادات وإمكانيات، وذلك لأنه لم يدرج استقلال البلاد ضمن برنامجه وقد حكمت عليه هذه الوضعية أن يكون حزبا للوسط، بل أكثر من ذلك، لقد وجد نفسه في الفترات التاريخية الهامة جنبا إلى جنب مع القوى المؤيدة للبرجوازية...فقد كان له صدى حقيقيا، يفوق أحيانا وفي بعض المراكز صدى منافسيه من الأحزاب الوطنية ".[2]

لقد جنت الحركة الوطنية بعض الثمار من النشاطات الشيوعية في الجزائر، فمن ذلك أن بعض الجزائريين قد وجدوا ملجأ في الحزب الشيوعي الفرنسي لكي يتقوا تعسف قانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية، وأيدت وسائل إعلام الحزب الوطنيين في كثير من مطالبهم المتعلقة بالمساواة في الحقوق وإعادة توزيع الأراضي، كما أن مهاجمة الشيوعيين للاستعمار قد جذبت إليهم أنظار كثير من الجزائريين بالرغم من تباين أهداف الطرفين، فضلا على أن الجزائريين قد تعلموا من الشيوعيين تكتيكا جديدا في معارضة الحكم الفرنسي مثل النظام الصارم، والمناورات السياسية وشعارات عديدة عن الثورة والاستعمار والامبريالية والبرجوازية.[3]

لقد تحدث موريس طوريز عن الأمة الجزائرية الآخذة في التشكل خلال مؤتمر عقد في شهر فيفري 1939م فقال: " نحن الشيوعيين، لا نقر بوجود العروق العنصرية نحن لا نريد أن نعترف بغير الشعوب ...فأين يكون في بلادنا العرق المختار الذي يستطيع أن يطمح إلى[4] السيطرة بمفرده، العرق الذي يستطيع أن يقول هذه الأرض كانت أرض أسلافي وأجدادي وحدهم...أليس ثمة بينكم هنا الأبناء المنحدرون من تلك العشائر النوميدية القديمة...أليس بينكم أحفاد أولئك البربر....أليس بينكم الآن أحفاد

1 - شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص ص 156-157.

2 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص 10.

3 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 338-339.

4 - ليون فيكس، الجزائر حتف الاستعمار، ترجمة محمد عيتاني، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، 1958، ص ص 25-26.

هؤلاء القرطاجيين والرومان...وكذلك بينكم أبناء أولئك العرب وأبناء الترك...إن جميع هؤلاء انصهروا على أرضكم الجزائرية...ثمة أمة جزائرية آخذة في التكون هي أيضا".

وعن موقف الشيوعيين الجزائريين من الإسلام، فقد كتبت صحيفة "الكفاح الاجتماعي":"...وليس الحزب الشيوعي عدو للإسلام، بل هو اكبر ناصر له، هو المعاضد لجمعية العلماء المسلمين، وقد احتج بكل قوة ضد غلق المساجد في وجوه العلماء الأحرار وهو الذي سعى في تكوين المؤتمر الإسلامي العظيم، وهو الذي يسعى لتنال الجزائر المسلمة حقوقها، وبرنامج الحزب الشيوعي بهذه البلاد برنامج يتضمن مطالب الأمة الجزائرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهذه المطالب التي يعمل على تحقيقها لا تخالف المطالب التي يتمناها كل وطني جزائري لبلاده ".[1]

وباندلاع الحرب العالمية الثانية عارض الشيوعيون الجزائريون دخول فرنسا المواجهة معتبرينها حربا امبريالية، وقد جرّ عليه هذا الموقف التعرض للحل، فتحول لاسيما بعد الاجتياح الهتلري للأراضي السوفياتية إلى مناهض لحكومة فيشي، وأصبحت خطاباته الدعائية، لاسيما بعد رفع قرار الحظر في صيف 1943م،لا تطرح مسألة الاستقلال التي اختفت، وأصبح بديلا عنها محاربة النازية، والاتحاد الحر للشعب الجزائري مع الشعب الفرنسي، ورفض قادته المبادرة الوطنية المتمثلة في تكوين جبهة أحباب البيان والحرية.[2]

إن المتتبع لنشاط الحزب الشيوعي يمكنه أن يستخلص من مسيرته النضالية الآتي:

- أن الحزب الشيوعي الجزائري لم يكن يطالب بالاستقلال أو الانفصال عن فرنسا، وإنما كان يدعو إلى المساواة والاتحاد بين الشعبين الجزائري والفرنسي في ظل الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لجميع العناصر السكانية بغض النظر عن العرق أو الدين أو الجنس.
- أن الحزب الشيوعي الجزائري لم يكن معاديا للإسلام والمسلمين حسب تصريحات قادته خلال الثلاثينيات، بل أنه كان يرى نفسه نصيرا قويا لهم روحليفا أساسيا لجمعية العلماء، وفقا

1 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 314. نقلا عن جريدة الكفاح الاجتماعي، العدد 100، 5 جوان 1937.

2 - مصطفى أوعامري، المرجع السابق، ص ص 460-461.

لما كانت تنشره صحيفة الكفاح الاجتماعي على الرغم من الاختلاف مع أعضاء الجمعية في الأيديولوجية السياسية والعقيدة الدينية.[1]

1 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 317.

المحاضرة العاشرة: الحركة الوطنية وتحولات الثلاثينيات

1/ الاحتفالات المئوية:

كتب المناضل محمد قنانش متحدثا عن تأثرها: " لم يشف غليل المستعمرين ما قاموا به من تنكيل وتقتيل، وما انتهكوا من حرمات طيلة قرن من الزمن، حتى هداهم تفكيرهم إلى تتويج مآسيهم بإقامة مأتم عظيم في شكل حفلة رقص على أشلاء شعب لم يؤمن برسالتهم التمدينية، ولم يرضخ لقوتهم الحديدية واختاروا بعض الممثلين من أذناب الاستعمار ممن باعوا نفوسهم رخيصة لتعداد مآثر الاحتلال، والتبشير بثقافته وحضارته.

وكان العقلاء من الفرنسيين وبعض الجزائريين ينتظرون أن تكون هذه الاحتفالات بمرور قرن على استعمار الجزائر مناسبة لتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعب الجزائري...ولكنه لم يكن إلا فتحا للجرح القديم وكان تحديا سافرا "[1].

بدأت الاحتفالات بالذكرى المئوية براليات صحراوية، وبإعادة تشكيل جيش إفريقيا في زيه القديم وكانت مناسبة لكل الجمعيات والتجمعات الأوربية لتلتقي طوال السنة، تم تنظيم قرابة 56 مؤتمرا، وكانت الفرصة لكل فئة لتقديم خلاصة ايجابية، ولتشير إلى الثمار والمحاسن الرائعة للانجازات الفرنسية في الجزائر، وتحدث كل المقررين عما أنجز في الجزائر من قبل المعمر والمبشر والطبيب والمعلم، غافلين عن الوضعية التي كان يعيشها الأهالي في حياتهم وأعمالهم متجاهلين مطالبهم.

كانت الدعاية الخاصة بالذكرى المئوية في قمة التنظيم، ووصلت حدتها درجة الدعاية الحربية وقد كتب بول كروزي وهو مستشار بوزارة المستعمرات : " إن محاولة الدعاية الوطنية اليوم يمكن في وقت السلم تشبيهها بكل الدعايات التي سبقتها في الأوقات الأكثر خطورة، ربما لم تكن هناك قط أية دعاية تضاهي الدعاية الجزائرية الأخيرة في كثافتها ومداها، وربما لم يكن لها هذا الترحيب المندفع لدى الأمة الفرنسية ".[2]

1 - محمد قنانش، المصدر السابق، ص 51.

2 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 (1919-1939م)، ترجمة أحمد بن البار، دار الأمة الجزائر، 2011، ص 312.

لقد حرصت باريس أثناء تلك الاحتفالات على توجيه إشارات رمزية ذات دلالة فقد أبحر رئيس الجمهورية الفرنسية من ميناء طولون قاصدا الجزائر يوم 03 ماي 1930م علما بأن قوات الاحتلال كانت قد أبحرت من نفس الميناء وفي ذات التاريخ، وكان من المظاهر المخادعة إصرار الأوربيين على إقامة تمثال تذكاري في سيدي فرج يمثل فرنسا في صورة امرأة محاربة قوية وجميلة تستقبل بالأحضان فتاة جزائرية ترنو نحو حاضنتها الأم الفرنسية بنظرة كلها اعتراف بالجميل.[1]

لقد كلف الاحتفال المئوي بالاحتلال الخزينة الفرنسية ما لا يقل عن 130 مليون فرنك، كان هدف الاحتفال هو الفرح بالاحتلال الذي قضى على هذه الدولة الجزائرية التي كان وجودها مصدر إحراج لأوربا خلال ثلاثة قرون، وقد دام الاحتفال ستة أشهر، فقد بدأ في جانفي وانتهى في الخامس جويلية 1930م ذكرى الاستسلام، اشتمل البرنامج المعد بالمناسبة معارض واستعراضات ومحاضرات والعاب وأفلام ومطبوعات وجولات سياحية وافتتاح منشآت جديدة ومن بين الاستعراضات واحد يعيد تمثيل كيفيات دخول الجيش الفرنسي إلى العاصمة قبل مائة عام، وقد وجهت الدعوات إلى كثير من الشخصيات والصحف الأجنبية والفرنسية، وتولت أكاديمية الجزائر العاصمة طبع سلسلة من الأعمال تحت عنوان " مجموعة الاحتفال المئوي "، وبينما كان الفرنسيون غارقين في نشوة احتفالاتهم، كان الجزائريون الوطنيون يهمسون " إنهم يحتفلون بالقرن الأول، ولكنهم لن يحتفلوا بالقرن الثاني ".[2]

إن رد الفعل الجزائري كان حاضرا، وذلك يدل على أن الفرنسيين كانوا مخطئين حين لم يبالوا بقوة الحركة الوطنية الجزائرية، وذهب علي مرّاد إلى أن الاحتفال بالمئوية قد أثّر في حياة الجزائريين، وأسهم في إخراج الفريق الإصلاحي من تحفظه، وحثّه على العناية أكثر بالمسائل السياسية، وعاش الاصلاحيون ذلكم التذكير بأحداث الغزو وكأنه إساءة لكرامة الشعب الجزائري المسلم[3]، وفي هذا الصدد كتب أحمد توفيق المدني: " ولقد أعاننا على عملنا، ومهد لنا السبيل، تلك الأعياد الهوجاء التي أقامها الاستعمار سنة 1930م ، فلم يبق هنالك من جزائري إلا وأحس بفتح ذلك الجرح الدامي من جديد وتذكر تلك المآسي والموبقات التي ارتكبت منذ فجر الاحتلال إلى يوم يوم الاحتفال، ورأى رأي العين

1 - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص ص 427-429.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، المرجع السابق، ص ص 306-307.

3 - علي مرّاد، المرجع السابق، ص 474.

كيف يحتفل المستعمرون بذكرى انكسار الجزائريين... إن احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر، قد قدّم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل".[1]

ومن جهته كتب المؤرخ شارل روبير أجيرون " إن الذكرى المئوية للاحتلال التي احتفل بها احتفالا مهينا للمسلمين، يمكن أن تحدد التاريخ الذي بدأ به انفصال الصفوة الجزائرية، ففي حين كانت لا ترى حتى تلك اللحظة بأن مطالبها في المساواة ستنتهي إلى نتيجة واحدة هي المواطنة الفرنسية، عرضت لها طريق أخرى على يد مصالي الحاج والعلماء الجزائريين، وأنصار القومية العربية ".[2]

بعد الاحتفالات الفرنسية المئوية عينت لجنة من مجلس الشيوخ سنة 1931م برئاسة موريس فيوليت لدراسة أوضاع المسلمين الجزائريين وتقديم اقتراحات خاصة بإدخال إصلاحات جديدة لفائدتهم وبالفعل فقد جاءت هذه اللجنة إلى الجزائر واتصلت ببعض الشخصيات الأهلية البارزة، وقدمت مشروعا أصبح يعرف باسم مشروع فيوليت ولكن مناقشته في مجلس الشيوخ طالت إلى سنة 1935م حين رفض بعد التصويت، رغم ما قدمه صاحبه من حجج لإقناع زملائه وتحذيرهم من مغبة بقاء الوضعية الراهنة في الجزائر.[3] لقد كانت آراء موريس فيوليت التي تضمنها كتابه المعنون بـ : هل ستعيش الجزائر ؟ l'Algérie vivra-t-elle الذي أظهر حقائق لم يكن يعرفها الناس، وكانت آراؤه وأفكاره سواء في كتابه أم في مشروعه تتلخص في : " إذا لم ننصف الجزائريين ونسرع بإدخالهم ضمن العائلة الفرنسية متساوين في الحقوق والواجبات فأنهم سيندفعون في الميدان الاستقلالي التحرري وعندئذ تخسر فرنسا أرض الجزائر نهائيا ".[4]

كتب الشيخ الإبراهيمي سنة 1936م عن فيوليت الآتي: " لم يظفر سياسي بمثل ما ظفر به من حب الجزائريين، وتقديرهم وامتلاك قلوبهم، كل ذلك لكلمة خير قالها فيهم، وسعي صالح سعاه في مصلحتهم على ما يتطرق ذلك السعي من شكوك واحتمالات وعلى أنه لم ينجز من سعيه قليل ولا كثير ".[5]

1 - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 166.
2 - شارل روبير أجيرون، المصدر السابق، ص 140.
3 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 351.
4 - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 170.
5 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 17.

2/ مشروع بلوم - فيوليت:

لقد كان لافتا خلال مرحلة الثلاثينيات قيام حراك فرنسي يقترح بعض الإصلاحات الموجهة للأهالي الجزائريين، وفي هذا الصدد يعد مشروع بلوم فيوليت من المبادرات الهامة التي حملت مقترحات تقاطع بعضها مع مطالب الجزائريين المعبر عنها في أكثر من مناسبة منذ مفتتح القرن العشرين، وجاءت التسمية التي حملها هذا المشروع - المعلن عنه عام 1936م في سياق تداعيات فوز الجبهة الشعبية اليسارية بالانتخابات خلال شهر ماي من ذات السنة- من عملية دمج لأفكار موريس فيوليت مع أفكار ليون بلوم.

إن أصول هذا المشروع تعود إلى عام 1931م فعقب الاحتفال بذكرى الاحتلال ترأس موريس فيوليت لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي كلفت بدراسة الوضع في الجزائر، وعرض توصيات عن الإصلاحات التي يتعين إدخالها، وبالفعل ظهر مشروع فيوليت الذي تضمن ثمانية فصول وخمسين مادة ومن أهم المقترحات الواردة فيه إصلاح مستوى التعليم والقيام بإصلاح زراعي، وتأمين نفس الحقوق والواجبات التي للفرنسيين لبعض الجزائريين، وإلغاء المحاكم الخاصة بالجزائريين، وزيادة تمثيلهم في المجالس المحلية، وإنشاء مجلس استشاري في باريس يتكون من تسعة جزائريين بمعدل ثلاثة ممثلين عن كل عمالة وتمتيع بعض مناطق الجنوب بالحالة المدنية وذلك بخلق بلديات مختلطة شبيهة بالنموذج السائد في الشمال وقد أخذت مناقشته في البرلمان عدة سنوات توجت في النهاية برفض التصويت عليه سنة 1935م

وبالرغم من رفض المشروع في البرلمان فقد أحيته الجبهة الشعبية وأدخلت صاحبه ضمن تشكيلتها الحكومية وظل المشروع بين مد وجزر إلى غاية عام 1938م حينما وضع رئيس الوزراء دلاديبه حدا نهائيا له بضغط من المعمرين.

وبالإضافة إلى المشروع فقد دعا فيوليت في كتابه المشار إليه، إلى أن على فرنسا أن توسع الهيئة الانتخابية، وأن تمنح الحقوق السياسية إلى الجزائريين الذين هم على استعداد للاندماج في المجتمع الفرنسي، وقد أصبح كتابه مصدر الهام للنخبة الجزائرية وبالمقابل هيج المستوطنين الذين رأى أحدهم أن عنوانه مثير ومؤسف.[1]

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص ص 18-19.

لقد تحرك المستوطنون بقوة، فبمجرد معرفتهم بتاريخ انطلاق المداولات حول المشروع حتى تحركوا بسرعة معارضين كل تغيير في الواقع الجزائري، فقد تجمع في مدينة الجزائر بتاريخ 14 جانفي 1937م ما يناهز 300 شيخ بلدية فرنسي وصادقوا على لائحة قدموا بها استقالاتهم الجماعية عارضوا فيها المشروع إذ قالوا صراحة أن أعداء فرنسا هم المؤيدون له، غير أن الضغط على الجبهة الشعبية لم يكن كله راجع إلى ما قام به الكولون، بل يمكن تفسيره بعامل آخر من صميم الجبهة نفسها، فقد رأت عدم تحمل مسؤولية نهاية الإمبراطورية الفرنسية على يديها مثلما أشارت إلى ذلك صحيفة "نيويورك تايمز" بتاريخ 06 ديسمبر 1937م، فقد كانت مستعدة لتقديم بعض التسهيلات إلى مختلف الاتجاهات الوطنية الناشئة، والنظر بعطف إلى آمال الشعوب التي تنشد الحرية، وتحاول الخلاص من نير الاستعمار، ولكنها كانت غير مستعدة للتخلص نهائيا من روح السيطرة الاستعمارية، ولعل الوقت لم يكن في صالحها ذلك أن عمرها كان قصيرا فهي لم تحكم سوى بضعة أشهر فقط مما لا يسمح بالتشخيص الدقيق للمشاكل كما أنه من السهل إطلاق الوعود خارج دائرة صنع القرار، ومن الصعب تجسيدها عند الإمساك بمقاليد السلطة.[1]

3/ المؤتمر الإسلامي الجزائري:

إن فكرة تنظيم مؤتمر يمثل الساكنة الإسلامية تمثيلا حقيقيا صدرت في المرة الأولى عن ابن باديس عبر جريدة الدفاع la Défense في بداية جانفي 1936م وجاءت في سياق القفزات وحالة الصعود التي كانت تحرزها ج ع م ج لاسيما بمناسبة عقدها المؤتمر الإصلاحي الأول في شهر سبتمبر 1935م وما صاحبه من حضور قوي، وكانت رؤية العلامة ابن باديس تقوم على أن تجنيد الرأي العام الإسلامي في شكل تجمعات كبرى منظمة ومؤتمرات يمثل مظهرا هاما في التأثير على الحكومة الفرنسية لجعلها تراجع سياستها الأهلية.

لقد كان لوصول الجبهة الشعبية إلى الحكم عقب انتخابات ماي 1936م ومن ثمة بلوغ ليون بلوم Léon Blum سدة السلطة، أن استشعر الاصلاحيون والوطنيون الارتياح الكبير، وانتشرت نسائم

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 31.

الأمل في المجتمع الجزائري بكامله، إذ اقتنع بان الشعب الفرنسي من خلال حكامه الجدد لن يتوانى عن طرح الحل الليبيرالي للمشاكل الجزائرية.[1]

كتبت جريدة "الشهاب" تعليقا على انتصار اليسار الفرنسي " إن سائر الطبقات العاملة في فرنسا، وسائر سكان المستعمرات وبلاد الحماية والوصاية قد تفاءلت بمصير الحكم إلى رجال الواجهة الشعبية، وعلقت على هذا الحكم الآمال الجسيمة...فالطبقات العاملة وأهالي المستعمرات الذين يئسوا من عدالة أحزاب اليمين قد عادت إليهم الآمال "[2] ويذكر فرحات عباس أنه " لما انتصرت الجبهة الشعبية عمت الفرحة البلاد، وابتهج العباد، وحل الأمل محل الحداد ".[3]

كان الحزب الشيوعي هو الوحيد بين الأحزاب الناشطة على الساحة الذي بادر إلى استقبال نداء ابن باديس بالتأييد والترحيب الحار فقد سبق لهذا التيار أن طرح فكرة مماثلة في شهر نوفمبر 1935م عبرت عنها صحيفة "الكفاح الاجتماعي" وقد جاء فيها: " إن الذهنية الاستعمارية حقيقة وواقع، وهي متجذرة عند المعمرين وأرباب العمل ، ومع الأسف نجدها أيضا عند عدد كبير من العمال الأوربيين ولذلك نرى نحن ضرورة إنشاء جبهة شعبية أهلية جنب الجبهة الشعبية الأوربية الموجودة، كما نرى التنسيق بينهما، ثم السعي إلى دمجهما في كتلة واحدة صلبة لا تقهر، موجهة لمكافحة الاستعمار ".[4]

لقد كانت رؤية بعض الفرنسيين تقوم على أن الوصول إلى المواطنة الفرنسية سيكون أنجع عقبة لمواجهة النزعة القومية، ومع ذلك، فإن المشروع قد أثار في الجزائر صيحة استنكار عامة بين رؤساء البلديات والمنتخبين، حيث أعلن هؤلاء جميعا استقالتهم في حال وافقت الحكومة على المشروع، ودعمت الصحافة الفرنسية المحافظة موقف المستوطنين، ورغم النداء الملح الذي وجهه المؤتمر الإسلامي الثاني في شهر جوان 1937م، لم يبحث البرلمان مشروع بلوم فيوليت، وهكذا كان التخلي عن المشروع قد قضى بالموت على سياسة الإدماج، وأثار خيبة أمل مثقلة بالأخطار ومن ذلك ما تفوه به ابن جلول " إن مسلمي الجزائر يحتفظون لأنفسهم بحق المطالبة بأشياء أخرى ".[5]

1 - علي مرّاد، المرجع السابق، ص ص 222-227.
2 المرجع نفسه، ص ص 227-228.
3 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص 153.
4 - محمد الميلي، المرجع السابق، ص ص 431-432.
5 - شارل روبير أجيرون، المصدر السابق، ص 145.

إن مشاركة العلماء في هذا التجمع السياسي الكبير كان له أثران مختلفان في الأوساط الجزائرية فبعض هذه الأوساط من الوطنيين المخلصين للشعب ابتهجوا حسب رأي الإبراهيمي بدور العلماء في هذه الوحدة الشعبية وخاصة الطبقات العامة الإسلامية لما كانت ترى وجود العلماء في هذا المؤتمر من ضمان وكفالة لأغلى شيء لديها وهو الدين واللغة العربية، أما أوساط الطرقيين والمعمرين، فقد استقبلت مشاركة العلماء في المؤتمر باستياء وامتعاض بدعوى أن العلماء يمثلون جمعية دينية لاحظ لها في السياسة وقد رد العلماء على خصومهم بقولهم: أن العلماء هم الممثلون الحقيقيون للأمة لأنهم يمثلون الأسس والمبادئ التي بدونها ما كان لهذا الشعب اعتبار، ولا وجود في زحام الفلسفات والأيديولوجيات التي ترمي في مجموعها إلى إذابة العنصر العربي الإسلامي في كيان أمة غريبة عنه.[1]

لم يسلم العلماء من الانتقادات حتى من بعض المفكرين المسلمين الجزائريين فالأستاذ مالك بن نبي قد انتقدهم بشدة حين قال: " إن الظروف السانحة وضعت العلماء أمناء على مصلحة الشعب، فسلموا الأمانة لغيرهم لأنهم لم يكونوا في مستواها العقلي وسلموها لمن يضعها تحت أقدامه لتكون سلما يصعد عليه للمناصب السياسية، ولا مجال هنا لبحث القضية في جوهرها الحضاري لفحص الأسباب التي جعلت العلماء أي الطائفة المتكونة من بوتقة ما نسميه الثقافة التقليدية لا يستطيعون القيام بالمهام الكبرى ".[2]

لقد انعقد المؤتمر في قاعة سينما الماجستيك في 07 جوان 1936م، وقد حضره مندوبون من كل جهات الجزائر، عيّنتهم اللجان المحلية التي أنشئت في كامل التراب الجزائري تقريبا، وقد عيّنت تلك اللجان منتخبين ووجهاء وعلماء وشيوعيين من أجل تمثيلها، وتم توخي الحذر في تعيين مناضلين وطنيين من النجم، حيث كان ينظر إليهم على أنهم متطرفون، ومن شأنهم أن يطلبوا المستحيل من الجبهة الشعبية.

صادق المؤتمر على ميثاق مطالب الشعب الجزائري المسلم، حيث تبنى النقاط الآتية: 1/ إلغاء كل القوانين الاستثنائية.

2/ الإلحاق التام والطبيعي بفرنسا، مع إلغاء كل الهيئات الخاصة على غرار المفوضيات المالية والبلديات المختلطة، والحكومة العامة.

1 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 344.

2 - مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 368.

3/ الإبقاء على قانون الأحوال الشخصية مع إعادة تنظيم الإدارة القضائية الإسلامية في اتجاه عقلاني، وأكثر مطابقة لروح القانون الإسلامي، وإلغاء كل الأحكام الاستثنائية المتعلقة باللغة العربية التي تجعل منها لغة أجنبية، والمطالبة بحرية تعليم اللغة العربية وحرية الصحافة.

4/ مطالب ذات طابع اجتماعي، كإجبارية التعليم لكل الأطفال من الجنسين، ودمج التعليم الأوربي والأهلي، وترقية الخدمات الخاصة بالمساعدات والصحة، والتكفل بالعاطلين عبر صناديق البطالة والمساواة في الرواتب والمؤهلات والترقيات وغيرها من المطالب.

لقد طرح هكذا الميثاق مطلبين أساسيين، من جهة المساواة أي إنهاء الأحكام الاستثنائية والإلحاق التام والطبيعي بفرنسا، مع إلغاء كل الهياكل الخاصة، ومن جهة أخرى إصلاح سياسي بصفة نهائية، وهو التمثيل النيابي، وقد تم وضع الثقة في الديمقراطية الفرنسية، وتم التنكر للقضية الوطنية واختيار الإدماج السياسي.[1]

توجه الوفد هام إلى باريس لعرض الرغائب الجزائرية، حيث كان ضمن تركيبته ابن جلول وفرحات عباس، وابن باديس، والإبراهيمي، وجاء في كلمة رئيس ج ع م ج الموجهة إلى رئيس الحكومة ليون بلوم خلال الاستقبال الذي تم يوم 23 جويلية 1936م الدعوة إلى المعاجلة بتطبيق الإصلاحات المرجوة مضيفا: " لو عدنا فارغي الأيدي، فإن هذا الابتهاج سيحل محله الأسى والخيبة، التي سيتولد عنها ألم كبير يكون في صالح خصومنا وأعدائنا ".[2]

كتب قداش يصف ما تمخض عنه المؤتمر: " رغم تناقضات المؤتمر الإسلامي الجزائري ونقاط الضعف التي ميزته، فإنه ظهر قوة معنوية من شأنها تنوير فرنسا وتربية الجماهير المسلمة، فقد قبل المراهنة على الجبهة الشعبية، وعلى الديمقراطية الفرنسية، وبعث كثيرا من الآمال، لم يكن مجرد تاريخ، أو مجرد تظاهرة، بل مسعى حقيقيا للنضال، أي التعبير عن إرادة الشعب المسلم في استعادة مكانه تحت الشمس مهما كان الثمن ".[3]

1 - محفوظ قداش، المرجع السابق، ص ص 564-568.

2 - المرجع نفسه، ص 574.

3 - المرجع نفسه، ص 570.

حظي المؤتمر بمعالجات عديدة، وكتابات صحفية، وإذا كان البعض منها قد وجه إلى المشاركين فيه انتقادات وتهجمات، فقد أشادت الغالبية منها بأهميته، ورأت فيه بادرة جديرة بالتشجيع لتحقيق الوحدة الوطنية، والدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين، ونظم حوله الشاعر محمد العيد آل خليفة قصيدة مكونة من سبعة عشر بيتا، نذكر منها الآتي:

يا فرنسا بك الجزائر لاذت ... وأكنّ تلك الولاء الشّديدا

فاز فيك اليسار فاليوم لا عسر ...أليس اليسار فألا حميدا ؟

فاز فيك اليسار فاقتربت منك ... وناطت بك الرجاء الوطيدا

أجمعت أمرها لمؤتمر الشعب ...فوفته مهرجانا وعيدا

صرخ الشعب فيه صرخته الكبرى ... وناداك يسترد الفقيدا.[1]

يرى البعض أن المؤتمر بالرغم من فشله في تحقيق المطالب المرفوعة جملة وتفصيلا بسبب تعنت الإدارة الاستعمارية، وعدم جديتها للاستماع إلى الصوت الأهلي والضغط القوي الذي مارسه المستوطنون الذين رفضوا كل محاولة لإصلاح أوضاع الجزائريين فقد كان بادرة طيبة للوحدة الوطنية، التقت فيه كل الآراء والنظريات السياسية، بل كان منعطفا حاسما في تطور الحركة الوطنية، ودليلا قاطعا على وعي الشعب الجزائري ويقظته، وتطلعه للحرية.[2]

1 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 348.

2 - المرجع نفسه، ص 349.

المحاضرة الحادية عشرة: الجزائر والحرب العالمية الثانية: أصداء وتحولات

في الواقع، فإن محطة الحرب العالمية الثانية 1939م – 1945م قد حفلت بالكثير من المواقف والتطورات والأحداث، سواء أكان ذلك على مستوى فرنسا نفسها، أم على مستوى مستعمرتها الجزائر، ففي سياق رصد مواقف الهيئات والأحزاب والجماهير الشعبية من حالة الحرب، ومن الدعوة الفرنسية للقتال إلى جانب باريس، فقد تطوعت النخبة والنواب وقدماء المحاربين، وأعلن الموظفون الرسميون تأييدهم لفرنسا، أما الوطنيون فقد زج بهم في غياهب السجون، وهكذا ادعى الفرنسيون أنه بمجرد وصول أخبار المعارك وولوج فرنسا المواجهة، فقد أجاب الجزائريون جماعيا وبإخلاص عن استعدادهم للدفاع عن فرنسا، وفي تلك الظروف ألقى الحاكم العام السيد لوبو كلمة على أمواج راديو الجزائر، وصف فيها عملية استنفار الجزائريين بأنها مثيرة للإعجاب.[1]

لقد أدى اكتساح الألمان لفرنسا واحتلال عاصمتها باريس في شهر جوان 1940م إلى إحداث حالة من الشعور بالغبطة لدى قطاع واسع من الجزائريين، وأعقب ذلك إظهار مشاعر التعاطف مع النازية حتى أن السكان فيما بعد، كانوا يتسترون على الجنود الألمان ويخفونهم عن السلطات الاستعمارية أشهرا كما حصل في مدينة عنابة والمنصورة.

ورغم انهيار سمعة فرنسا ومكانتها في نظر الجزائريين، إلا أنه لم يحدث أي تحرك جاد ضدها بسبب تشرذم الحركة الوطنية، وغياب القادة الوطنيين والدينيين، فقد توفي ابن باديس، ووضع مصالي الحاج في السجن، وفقد ابن جلول سمعته فغدا منبوذا ووقوع الجماهير الشعبية تحت تأثير المرابطين، والعائلات الكبيرة، والموظفين الرسميين الموالين لحكومة فيشي.

وفي غضون تلك الأوضاع، كان حزب الشعب الذي تعرض للحل في بداية الحرب يبث الدعاية الوطنية في صفوف المجندين، والمعتقلين، وفي عامة الشعب، ويوزع نشرية باللغة العربية هي " صوت الأحرار " من شهر جوان 1943م إلى شهر جانفي 1944م ونشريتين باللغة الفرنسية وهما " الوطن " و " العمل الجزائري " وذلك من شهر مارس 1944م إلى شهر مارس 1945م.[2]

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 174.

2 - بشير بلاح، المرجع السابق، ص 450.

ويقول شارل روبير أجيرون " غير أن الهزيمة كانت قد دمرت هيبة فرنسا، وكان المسرحون والأسرى المخلى سبيلهم يروون قصة الحرب المهزلة، وبالمقابل كانت انتصارات ألمانيا تثير بعض الإعجاب وكان الوضع الاقتصادي يتقهقر بالسرعة نفسها والمحاصيل تتناقص، وافتقرت الجزائر إلى المواد المصنوعة والألبسة، وراحت آلام جديدة ترهق من هم أفقر الناس ".[1]

في الجانب الفرنسي، ومنذ أن هزمت جيوش هتلر فرنسا واحتلت بلادها في جوان 1940م، كان في الجزائر قوتان، سلطات رسمية تحت رقابة حكومة فيشي ورئيسها الماريشال بيتان Pétain المتعاون مع الألمان، وأنصار الجنرال جيرو، والجنرال ديغول المتحالفين مع الأمريكيين والبريطانيين، يحاولون تسيير المقاومة ضد النازية.

نزول الحلفاء بالجزائر 1942م وأثره:

لقد كانت الجزائر خلال عهد حكومة فيشي موضعا لدعاية المحور ولدعاية الحلفاء على حد سواء فإلى جانب فرنسا الحرة التي كانت تبث دعايتها من لندن ضد النازية وضد حكومة فيشي كان هناك راديو موسكو، وواشنطن، ولندن، وجميعهم أكثروا من الحديث عن الحرية والاستقلال، وتقرير مصير الشعوب، والمساواة في الحقوق والواجبات، واستنكار الفاشستية وهذه الدعاية الموجهة، قد ساهمت في زرع مبادئ الديمقراطية، وتنبيه الشعوب سياسيا، وإيقاظ الروح القومية لدى شعوب إفريقيا وآسيا المستعمرة، وكانت مبادئ ميثاق الأطلسي المعلن عنها في أوت 1941م، تتردد في كل مكان، حيث وجد فيها القادة وسيلة لمطالبهم، ووجدت فيها الشعوب دغدغات لعواطفها وآمالها، وبدأ التساؤلات تطرح عما سيحدث بعد ذلك، ومن ثمة رحب الناس بنزول الحلفاء في الجزائر في 8 نوفمبر 1942م، باعتباره يمثل علامة التحرر لتحقيق الأفكار والشعارات الملوح بها.[2]

ومهما يكن من أمر، فقد اجتمع ممثلو الحلفاء في شرشال يوم 27 أكتوبر وخططوا لعملية الإنزال وقد شارك في اللقاء عن الجانب الفرنسي الجنرال جيرو وبعض أنصار ديغول وغيرهم من الأطياف التي كانت تمثل المقاومة الفرنسية للألمان وحكومة فيشي العميلة، وحضر من الجانب الأمريكي الدبلوماسي روبرت

1 - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات ، بيروت لبنان، 1982، ص 147.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 194.

مورفي والجنرال كلارك، وضباط آخرون، وشارك السيد هارولد ماكميلان وبعض الضباط عن بريطانيا بالإضافة إلى تمثيل سوفياتي، وكان موضوع الاجتماع دراسة كيفية نزول الحلفاء بنجاح، أما موقف الحركة الوطنية والشعب الجزائري، فلم يكن ضمن دائرة الاهتمام.[1]

في يوم 08 نوفمبر 1942م بدأت القوات الأمريكية والانجليزية بقيادة الجنرال الأمريكي إيزنهاور عمليات الإنزال في مدن الدار البيضاء بالمغرب الأقصى، ووهران والجزائر العاصمة، وكان معها أنصار ديغول، وقد قدرت المصادر تعداد تلك القوات ب49 ألف عسكري أمريكي، و23 ألف عسكري بريطاني، وقد رافق عمليات الإنزال إسقاط مناشير دعائية على منطقة شمال إفريقيا، توضح أهداف العملية بأنها تتعلق بتطهير المنطقة من تواجد المحور، مع الاعتراف باستمرار السيادة الفرنسية عليها، كما شهد نفس اليوم إلقاء خطاب لجنرال ديغول، أذيع عبر راديو لندن جاء فيه: " ستقتحم فرنسا والحلفاء شمال إفريقيا في مسعى التحرير، وسنعمل من أجل أن تكون الجزائر والمغرب وتونس قاعدة لنا لبداية تحرير فرنسا ".[2]

بيان الشعب الجزائري 1943م: يعتبر تاريخ 10 فيفري 1943م محطة بالغة الأهمية، فقد نشر فرحات عباس نصا مطلبيا موقعا من طرف مجموعة[3]من الأعيان والمنتخبين، وقد ابتعد هذا النص عن أهداف ما قبل الحرب، التي كانت غايتها حصول قسم من الجزائريين على حق المواطنة الفرنسية، وبرأي المؤرخ بنجامين ستورا، فقد التزم البيان الحذر حول طبيعة الدولة الجزائرية بالرغم من أنه ذكر بأن الجزائريين يريدون من الآن التكفل بحكم بلادهم بأنفسهم، ومن ثمة، فإن ما كان يطالب به عباس بواسطة هذا البيان، هو نظام قانوني هجين، يحتل مكانة وسطى بين الاستقلال حسب النموذج السوري، والمحمية حسب النموذج التونسي.[4]

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 197.

2 - محمد شبوب، المرجع السابق، ص 130.

3 - تباينت تقديرات المؤرخين لعدد الشخصيات التي وقعت على البيان، فمن الكتابات التي تحدثت عن **56** شخصية نذكر: شارل روبير أجيرون، المرجع السابق ص 148. – بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 186.

بينما جاءت كتابات أخرى بأعداد متباينة ومن ذلك: - **55** شخصية، ينظر: شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 314. - 22 شخصية. ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 210.

- **50** شخصية بحسب أندري نوشي و **13** شخصية عند كلود كولو. ينظر: محمد شبوب، المرجع السابق، ص 156.

4 - بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 186.

وبالنسبة لأبي القاسم سعد الله، فإن فرحات عباس قد أعدّ البيان انطلاقا من الوثائق الجزائرية السابقة، فخرج بتوليفة مستوحاة من مطالب النخبة، ورغائب المؤتمر الإسلامي ومبادئ حزب الشعب واتكأ أيضا على روح ميثاق الأطلسي، ونسخ من أفكار الثورة الفرنسية، لذلك كان البيان وثيقة رومانتيكية أكثر منها واقعية.[1]

ويكتب فرحات عباس في ذات السياق متحدثا عن أثر الدعاية ونزول الحلفاء على الجزائريين:" وفي ذلك الحين كانت إذاعة لندن وموسكو وواشنطن تغمر العالم أجمع بالمناداة بحرية الإنسان، وبمساواة الشعوب، وساهمت هذه الإذاعات مساهمات فعالة في تكوين شعوب إفريقيا وآسيا تكوينا سياسيا صحيحا، فعرفت الشعوب المستعمرة حقوقها واكتشفت شخصيتها، ورفعت رأسها، وصارت تتساءل عن مستقبلها، وهذا ما يفسر الحماس الذي اندلعت نيرانه في قلوب الجزائريين غداة نزول الأمريكيين والانجليز في شمال إفريقيا سنة 1942م، فسرعان ما لمت المنظمات السياسية شعثها، ووحدت صفوفها وحددت برنامجا مشتركا، فدوى صوت النفير، وشمّر النواب المسلمون على ساعد الجد ووجهوا إلى السلطات الفرنسية نداء لم يحظ بأي اعتبار، ولا بأي جواب ".[2]

تضمن البيان النقاط الآتية:

- 1/ إدانة الاستعمار والقضاء عليه، وتحريم استغلال شعب من طرف شعب آخر وتحريم إدماجه وضمه عنوة.
- 2/ تطبيق تقرير المصير لجميع الشعوب الصغيرة منها والكبيرة.
- 3/ منح الجزائر دستورا خاصا بها يضمن لها:

أ- حرية جميع السكان والمساواة بينهم بدون ميز جنسي ولا ديني.

ب-إلغاء الإقطاعية الفلاحية وذلك بإصلاح زراعي واسع النطاق يضمن الرفاهية.

ت-الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية بجانب اللغة الفرنسية.

ث-حرية الصحافة وحق الاجتماع.

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 208.

2 - فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها – ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص ص 166-167.

ج- التعليم المجاني والإجباري لجميع الأطفال ذكورا وإناثا.
ح- حرية الدين لجميع السكان، وتطبيق قانون فصل الدين عن الحكومة على الديانة الإسلامية.
خ- مشاركة المسلمين في حكم بلادهم مشاركة عاجلة.
د- إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين من جميع الأحزاب.[1]

لقد رأى البعض في اختيار فرحات عباس لمصطلح " البيان" بدلا عن تعبير الميثاق بأن ذلك يعد محاكاة لمرجعية كارل ماركس في بيانه الشهير لعام 1848م، وأن محتوى البيان ومفاهيمه، يمثل لحظة كبرى في التطور الجزائري، وأنه قد سجل مرحلة لافتة ومعلمية في حركة الكفاح ضد الهيمنة الاستعمارية.[2]

وفي تحليل شارل أندري جوليان لمتضمنات البيان، فقد رأى بأن الجزء النقدي للظاهرة الاستعمارية قد احتل مكانا لا يتناسب مع البرنامج الايجابي، ولا يعطي ذكر أضرار الاستعمار التي هي صحيحة غالبا، إلا فكرة إجمالية عن الواقع، كما تحدث عن أن الأرقام الواردة في محتوى البيان ليست كلها ثابتة، غير أنه ثمّن هذه الخطوة معتبرا إياه قد فتح عهدا جديدا للعمل الوطني.[3]

كان الموقف الفرنسي من المطالب المرفوعة في البيان وملحقه مراوغة، فقد صم الجنرال جيرو أذنيه عن الأماني المعبر عنها، وأجاب الجزائريين بأنه منشغل بالحرب وتحقيق النصر، ولا مكان لديه للحديث عن السياسة والإصلاحات، غير أن الحاكم العام بيروتون الذي استلم مهامه في شهر جانفي 1943م ومدير الشؤون الأهلية جاك بيرك قد كانا أكثر تبصرا منه، وشعرا بضرورة العمل في هذا المجال.[4]

ويبدو أن الفرنسيين قد أحسوا بخطورة لهجة البيان، وأدركوا أهمية المطالب فتظاهروا بقبول البيان من حيث المبدأ، وطلبوا من الوفد تقديم خطة عمل للإصلاح، وكان الهدف من ذلك كسب الوقت، لأن موازين الحرب لا تزال في غير صالح الفرنسيين، كما أن تواجد الحلفاء فوق الأراضي الجزائرية، قد أسهم في عدم أخذ الفرنسيين لموقف صارم، وبالفعل فقد صاغ الجزائريون في شخص فرحات عباس وزملائه ملحقا للبيان سلم إلى السلطات الاستعمارية في 26 ماي 1943م، وقد تضمن

1 - فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها- ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص ص 169-170.
2 - Benjamain Stora et Zakya Daoud, Ferhat Abbas une autre Algérie, Casbah Editions, Alger, 1995, P118.
3 - شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 314.
4 - المصدر نفسه، ص 313.

الملحق قسمين، فالقسم الأول تحدث عن الإصلاحات التي يمكن تأخيرها إلى ما بعد الحرب، والقسم الثاني تطرق إلى الإصلاحات الفورية، وهكذا نصّ القسم الأول على أنه في نهاية الحرب تصبح الجزائر دولة لها دستورها الخاص، يضعه مجلس تأسيسي جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام من جميع سكان الجزائر.[1]

يلخص أبي القاسم سعد الله ما حمله البيان وملحقه بالقول: " وقد كتب البيان والملحق من وحي التجارب الماضية للجزائريين مع الاستعمار، وتظهر عليها المرارة واليأس من فرنسا، كما يظهر عليهما الثقة في الحلفاء وفي الشعب، ولكن الحلفاء كانوا قد تركوا المسألة الجزائرية إلى فرنسا، أما الشعب فقد كانت تنهشه الحرب من جهة، والجوع من جهة أخرى، وسوف لن يغفر المعمرون للجزائريين هذه الجرأة في المناداة بالاستقلال والسيادة، رغم أنهم أجلوا الانتقام إلى ما بعد الحرب ".[2]

تكوين حركة أحباب البيان والحرية:

في 07 مارس 1944م، صدر بالجزائر التي تمثل وقتئذ عاصمة فرنسا قبل تحريرها لاحقا من الألمان عن السلطات الفرنسية بقيادة الجنرال ديغول أمرية تحتوي الإصلاحات الخاصة بالجزائريين وقد وصفت هذه الإصلاحات بأنها سياسية، فجاء في البند الأول، أن الجزائريين سيتمتعون بنفس الحقوق ونفس الواجبات التي للفرنسيين، وجاء في البند الثاني، أن الجزائريين والفرنسيين متساوون أمام القانون، وأن القوانين الاستثنائية قد ألغيت، وأن المسلمين سيخضعون للشريعة الإسلامية في الأحكام.

أما الجزائريين، فكان ردهم على أمر 07 مارس 1944م الرفض، باستثناء قلة منهم تمثل الموظفين الضالعين في ركاب السلطة الفرنسية، كما عارضته أيضا النخبة وقد ظهر في هذه الأثناء فرحات عباس ليملأ الفراغ السياسي الذي تركه غياب ابن باديس ومصالي، وابن جلول، والطيب العقبي، فألّف منظمة أحباب البيان والحرية.[3]

لقد تم تأسيس تجمع " أحباب البيان والحرية " بمدينة سطيف في يوم 14 مارس 1944م ضمت عناصر النخبة والعلماء وحزب الشعب الجزائري، باستثناء الشيوعيين الذين ردوا على هذا التنظيم بخلق

1 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص ص 210-212.

2 - المرجع نفسه، ص 213.

3 - المرجع نفسه، ص ص 221-222.

جمعية " أحباب الديمقراطية والحرية"، وقد نصت المادة الرابعة من قانون أحباب البيان على أن هدف التجمع هو:" الترويج والترغيب في تكوين أمة جزائرية، وتشكيل جمهورية في الجزائر تتمتع بالاستقلال الذاتي، ومرتبطة بروابط فدرالية مع جمهورية فرنسية مجددة، ومعادية للاستعمار والامبريالية ".

كان تجمع أحباب البيان التجربة الوحدوية الثانية في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ولكنها مختلفة عن تجربة المؤتمر الإسلامي لسنة 1936م اختلافا ستكون له آثار بعيدة المدى، فقد تم تجاوز مطلب الاندماج إلى مطلب الجمهورية المستقلة ذاتيا وعلاوة على ذلك، فإن انخراط حزب الشعب أعطاه زخما متميزا، وقد كان للتجمع صحيفة هي صحيفة المساواة Egalite .[1]

وحملت إفادات فرحات عباس، بأن حركة أحباب البيان قد استطاعت أن تشق طريقها بسرعة إلى قلوب الجزائريين، وذكر بأن " الحركة نجحت أيما نجاح، فكان في كل الوطن النصر حليفها، والتأييد أليفها، وتقاطر إلى مركزها أكثر من 500 ألف منخرط... وبينما كانت حركتنا تتقوى وتنتشر، كان المعمرون يحيكون لها المؤامرات في الخفاء، وكانوا يدبرون في الليل إثارة الاستفزازات التي تمكنهم من الإجهاز على حركتنا فعمد أعداؤنا إلى منعنا من المشاركة في الانتخابات البلدية التي كانت قد أجريت في فرنسا، وما أجلت في الجزائر إلا خشية انتصار القوات الشعبية، وفي أفريل سنة 1945م قال العامل لسطراد كاربونيل على سبيل السر للدكتور سعدان، ستقع اضطرابات عن قريب يحل إثرها حزب عتيد ".

لقد حاولت حركة أحباب البيان تفادي الاستفزازات البوليسية والمراهنة على الالتحام بالشعب والتسلح بالقانون، فعمل زعماؤها ولاسيما عباس على محاولة إقناع الأوربيين بالاهتمام بالقضية الجزائرية بل وجرهم إلى الانخراط في هذه الحركة ومحاولة إفهام هؤلاء بأن مصالح الجميع مترابطة، بما يقود في النهاية إلى قبولهم فكرة جمهورية جزائرية ديمقراطية واجتماعية.[2]

إن انخراط حزب الشعب في البيان والمشاركة في تجمع أحباب البيان والحرية، قد أظهره بأن لم يكن من أنصار الكل أو اللاشيء، حيث ترك الفرصة لمبادرة المعتدلين مع الإبقاء على مواقفه الخاصة قصد

1 - صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية: صانعو أول نوفمبر 1954، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2010، ص ص 18-19.
- جريدة المساواة تأسست في 15 سبتمبر 1944م وكانت أسبوعية.
2 - فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها – ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص ص 184-185.

دفع السلطات الفرنسية إلى الاعتراف بالقضية الوطنية مع اقتناعه التام بأن فرنسا لن تعطي شيئا وأنها لن ترضخ إلا للقوة، ويذهب مهساس إلى إبراز الصدى القوي لهذه الحركة لدى الجماهير بالقول: " وبعد أن استمدوا الشجاعة من توسع أحباب البيان والحرية، غيّر الجزائريون الذين ظلوا زمنا طويلا حبيسي الصمت والخضوع للنظام الاستعماري سلوكهم، ورفعوا رؤوسهم ولم يعودوا يرضون بالاحتقار الذي كان مسلطا عليهم بصورة يومية من الإدارة، وغالبية الأوربيين...وقد أثار هذا الخوف في الأوساط الاستعمارية، وقد انتشر التوتر بين الشعب الجزائري من ناحية والإدارة الفرنسية والأوربيين من ناحية أخرى عبر القطر الجزائري برمته ".[1]

ومهما يكن من أمر، فإن فترة 1942-1944م كانت فترة مليئة بالنشاط والتجارب للحركة الوطنية الجزائرية، وإذا كانت فعلا لم تحصل على ما كانت تريد لنقاط ضعف في صفوفها، لم تستطع أن تتغلب عليها أو تتخلص منها في الوقت المناسب، إلا أنه ما كادت سنة 1944 تنتهي حتى صارت الحركة الوطنية أكثر صلابة، وأكثر وعيا وأعمق تجربة بالإضافة إلى أنها قد دخلت مع الفرنسيين عهدا من التحدي والمواجهة لم تعرفه من قبل وهو العهد الذي انتهى بمأساة 8 ماي 1945م.[2]

1 - أحمد مهساس، المصدر السابق، ص ص 210-213..

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 224.

المحاضرة الثانية عشرة: مجازر الثامن ماي 1945م وتداعياتها.

لقد تغير وجه العالم بعد المواجهة الكونية المدمرة 1939-1945م، وكشفت عمليات المسح التي أعقبتها إلى أي درجة كانت المجتمعات الإنسانية في حاجة إلى إعادة النظر في منظومة العلاقات التي تحكمها، فحدّقت العيون، وخامرت العقول الكثير من الصور عن شكل هذا العالم الموعود ولكن يبدو أن هذا الترقب للغد الأفضل لم يكن يعني الجزائريين، فقد تحول الحلم إلى كابوس قاتل واتضح أن المستعمرين لم تتغير فلسفتهم ولا ممارساتهم تجاه أصحاب الأرض الشرعيين.

وسط هذه التجاذبات، ظهرت العبارات المكتوبة على الجدران توحي بأن هناك شيئا يستحق الاستعداد، وذكر معاصر مجموعة من العبارات مثل " استعدوا فإن ساعة الصفر قد قربت"، و" أيها الجزائريون حاربوا من أجل الحرية"، و " أيها الجزائريون إن الجبال تناديكم"، وهي الكتابات التي وجدت في عدد من المدن، مثل جيجل، وبسكرة، ونواحي قالمة[1] ، وبدأ التصادم مبكرا في أجواء احتفالات الطبقة العاملة بيومها الدولي تكريسا للتقليد السائد.

مظاهرات فاتح ماي 1945م:

كان يوم فاتح ماي اليوم العالمي للعمال تاريخا للمواجهة الأولى، فقد كان فرصة مواتية للإعراب عن رغبات الشعب، حيث خرج المتظاهرون للتعبير عن حاجتهم إلى التحرر، ولإظهار قوة حركتهم أمام العالم، وقد بدا واضحا تعطش الشعب لرفع مطالبه فانطلقت موجات الحشود بأعداد كبيرة خاصة في مدن الجزائر، والبليدة، ووهران، مرددة نشيد " فداء الجزائر"، وعبارات " يحيا الاستقلال"، و" أطلقوا سراح مصالي"، التي كتبت على لافتات باللغات الثلاث العربية والفرنسية، والانجليزية، وقد عجز المنظّمون التابعون لحزب الشعب عن تهدئتها، وكان رد قوات الشرطة إطلاق الرصاص، فكانت الحصيلة سقوط 07 قتلى، واعتقال العشرات من المواطنين.[2]

وبرأي البعض، فقد بلغ التعارض بين أهداف وإرادة الشعب الجزائري والمستعمر أشدّه في شهر ماي 1945م، فلقد كانت السلطات الكولونيالية مدركة لنتائج المظاهرات على الصعيدين الداخلي

[1] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 232.

[2] - صالح بلحاج، المرجع السابق، ص 21..

والخارجي، حيث كانت القوى السياسية المتنامية تمثل خطرا على النظام الاستعماري وأوهامه، إن تجاهل النظام الاستعماري لحركة التاريخ، ورفضه الاعتراف بالواقع الوطني الجزائري أدى به إلى سلوك طريق القمع والمواجهة مع الجزائريين[1]، حيث لم يكن معقولا الرضوخ لمطالبهم في نظر المعمرين، وبالتالي لا يمكن فتح النقاش السياسي مع شعب غير موجود.[2]

مظاهرات الثامن ماي 1945م منعطف التحول

أوجز أبو القاسم سعد الله الوضع القائم عشية تفجر حوادث الثامن ماي 1945م بأن الجزائريين كانوا يعيشون وعيا كاملا، وانتظارا لساعة الخلاص، ويقابلها حالة من التربص والاستعلاء من لدن الفرنسيين للانقضاض على الأوائل.[3]

في الثامن ماي 1945م، وبعد أن قررت السلطات الاستعمارية السماح للفرنسيين والجزائريين بالمشاركة في الاحتفالات بانتصار الحلفاء على النازية والفاشية، اغتنمت قيادة حزب الشعب الجزائري الفرصة للمشاركة في هذه المظاهرة، فاستنفرت مناضليها والمتعاطفين معها ودعت إلى التقيد بالطابع السلمي، ووضّحت الشعارات التي يجب رفعها، وتتعلق بتحرير المعتقلين السياسيين وتحرير الجزائر.

سارت المواكب في أغلب مدن الجزائر، عدا العاصمة ووهران بفعل مخلفات اضطرابات الفاتح ماي، حيث كانت الكشافة تتصدر الصفوف بلافتات تحمل العديد من الشعارات: " تحيا الجزائر حرة " و" أطلقوا سراح مصالي"، و" يسقط الاستعمار والفاشية و " يحيا ميثاق الأطلسي "، وإذا كانت المظاهرات قد تفرقت أو تم تفريقها دون أن تخلف ضحايا، أو عرفت حوادث طفيفة، فإن المظاهرات بالشرق الجزائري أخذت منعرجا خطيرا، حيث تحولت إلى عمليات إبادة، قام بها المستعمر ضد قطاعات واسعة من الشعب الجزائري.[4]

لقد تصرفت السلطات الاستعمارية كأنها في حرب ضد شعب قام بثورة تحررية ووظفت كل الوسائل العسكرية لإخمادها، فكانت حصيلتها مأساوية تضاربت أرقام ضحاياها، فهي 45000 قتيل عند

[1] - أحمد مهساس، المصدر السابق، ص 237.

[2] - حسين آيت أحمد، روح الاستقلال مذكرات مكافح 1942-1952، ترجمة سعيد جعفر، منشورات البرزخ، د.م 2002، ص 41.

[3] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 233.

4 - بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر معالمها الأساسية، دار النعمان للطباعة والنشر، د.م 2012م، ص 128.

حزب الشعب، و15000 حسب الجنرال توبرت المكلف بلجنة التحقيق، التي لم تنشر خلاصة أعمالها أبدا.[1]

يعترف شارل أندري جوليان بالطابع الهمجي للرد الفرنسي فيكتب " لقد كان القمع ضاريا لا يرحم وفي الحقيقة خاليا من الإنسانية لأنه فاقد للتمييز، فكل عربي لا يحمل الساعدة القانونية كان مقتولا بسطيف، وفي الريف كان الجنود السينغاليون وجنود اللفيف ينهبون ويحرقون، ويغتصبون النساء ويقتلون بكل حرية ".[2]

إن التفسيرات المرددة من لدن الفرنسيين والتي تركز على العوامل الاقتصادية تمثل تعميات مقصودة عن الحقيقة، فالحكومة الفرنسية نفسها تعي تماما أن الشعب الجزائري لم يسبق له أن قام بمظاهرة من أجل الخبز، بل كان خروجه للشارع متظاهرا أو محتجا رديفا للظلم، والاضطهاد والعنصرية، وللمطالبة بالحرية، والكرامة الوطنية وقد لاحظ عديد المتتبعين، أن الوطنيين الجزائريين لم يستعملوا في شعاراتهم وفي لافتاتهم التي تم رفعها أية عبارات تشير إلى المجاعة والحالة الاقتصادية، بل كانت المطالب كلها سياسية.[3]

لقد تجندت الجماهير الشعبية لمظاهرات الفاتح والثامن ماي 1945م من أجل التحرر وليس للتعبير عن بعض المطالب الاجتماعية والاقتصادية، لكن هذا لا يعني أنها لم تكن محرومة من أبسط الضروريات، فقد كان قسم كبير من السكان يعاني المجاعة وذلك وضع لا يفقهه المعمرون، لأنهم لم يذوقوه ومع ذلك، خرجت الجماهير للمشاركة في المظاهرات باسم الاستقلال الوطني، وإنهاء الاستعمار، وكانت من خلال هذا تؤكد عزتها الوطنية، وإرادتها في التخلص من العبودية والقمع والاستغلال، ولم تفعل ذلك مدفوعة بمزاجها العدواني، كما طرح شارل أندري جوليان في مؤلفه إفريقيا الشمالية تسير.[4]

ومن جهته، اعتبر المناضل جاك فيرجيس ما حدث في الثامن ماي 1945م بأنه:" أسود صورة في تاريخ الإنسانية، لأن جريمة الدولة لم تمتد إلى المكافحين فقط، بل حاولت أن تكتم أي نفس جزائري من

1 - بنجامين ستورا ، المرجع السابق، ص 190.

2 - شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 335.

3 - عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص418.

4 - المصدر نفسه، ص ص 252-253.

شيوخ، وبراعم، ومصادر مياه، ونبات، ...هي بالمختصر المفيد أسوأ خليط من العنصرية، والنازية والبربرية،...بل هي نظرية فريدة قائمة بذاتها ".[1]

ومهما كانت التأويلات والاعتبارات، فإن أحداث ماي 1945م شكلت علامة بارزة للمشاركة الجماهيرية في النضال الثوري على أوسع نطاق، وأعطت بذلك معنى التحول النوعي لصالح الحركة الوطنية، ويرى أحد المعاصرين، أن هذه الحوادث التي وقعت في أيام قلائل، لكنها خلفت ألاما وجروحا أدمت قلب إنسانية القرن العشرين ونقشت بالحرف الغليظ مدى همجية التمدن الفرنسي في الجزائر.[2]

1 - بشير بلاح، المرجع السابق، ص 457.

2 - عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 413.

المحاضرة الثالثة عشرة: إعادة بناء الحركة الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية

تمهيد

لقد استفاق الجزائريون نخبة وجماهير على واقع جديد بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتبخر الأحلام التي روج لها البعض حول إمكانية مراجعة الاستعمار لسياسته تجاه الأهالي والاستجابة لمطالبهم التي تم التعبير عنها في أكثر من محطة واتصال خلال الفترة 1939-1945م، فكان عليهم بعد مأساة ماي 1945م إعادة التموقع من جديد وبناء تصور نضالي يتماشى مع هذا الواقع المحلي وأيضا يضع في الحسبان التطورات الحاصلة في المنظومة الدولية التي أفرزت عالما منقسما إيديولوجيا إلى معسكرين شرقي شيوعي بقيادة سوفياتية وغربي ليبيرالي متوحش بقيادة أمريكية، وتشكيل هيئة الأمم المتحدة في أكتوبر 1945م وزيادة على ذلك قيام جامعة الدول العربية ما تمثله من تأثير سياسي ومعنوي بالرغم من حداثة عهدها فهي بارقة أمل للوحدة والتحرير.

وفي سياق إجراءات التهدئة الفرنسية عقب المجازر المروعة المرتكبة في حق الجزائريين الأبرياء صادقت الجمعية التأسيسية الفرنسية بتاريخ 16مارس 1946م على قانون العفو العام عن المساجين وهكذا أطلق سراح العديد من الرموز الوطنية على غرار فرحات عباس، ومصالي الحاج، وشهدت الحياة السياسية الكثير من المراجعات في الأفكار وفي التسميات التنظيمية، فكان أن ظهر لنا حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية.[1]

1/ تأسيس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: في شهر أفريل 1946م أعلن فرحات عباس عن تأسيس حزب سياسي جديد تحت تسمية الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري فكان بمثابة الوريث لبرنامج أحباب البيان والحرية، وقد ضم الكثير من النخب والمثقفين فمن المحامين نذكر أحمد بومنجل وقدور ساطور، ومن الأطباء الدكتور سعدان، وأحمد فرانسيس، وقد استمر هذا الحزب في نشاطه إلى غاية الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني عام 1956م.[2]

1 - قدادرة شايب،" تحولات الحركة الوطنية الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية 1945-1954م"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 30، جامعة منتوري قسنطينة ديسمبر 2008، ص 147.

2 - عزالدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2004-2005، ص 200.

في الفاتح من شهر ماي 1946م وجه زعيمه نداء إلى الشباب المسلم والفرنسي جاء فيه:" لا إدماجا ولا سيدا جديدا، ولا انفصالا، بل غايتنا هي إبراز شعب فتي ، يتكون تكوينا ديمقراطيا واجتماعيا...غايتنا هي إنشاء دولة فتية تقود خطاها الديمقراطية الفرنسية هذه هي الصورة التي كنا نحلم بها...إن هدفنا هو تحرير الجزائر من نظام السيطرة الاستعمارية، وذلك مع احترام مبدأ القوميات، فواجبنا إذا يملي علينا بناء مستقبل بلادنا على أسس صحيحة وتاريخية حتى ندمجه في الديمقراطية العالمية الحرة ."[1]

وقد رأى الكثيرون أن برنامج الاتحاد الديمقراطي UDMA لا يختلف كثيرا عن برنامج أحباب البيان، وأصدر هذا الحزب جريدة بعنوان " الجمهورية " خلفت سابقتها " المساواة "، وهذا التغيير له دلالة خاصة تعكس التبدلات التي مست فكر عباس وزملائه الذي انتقل من المطالبة بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين إلى فكرة إقامة الجمهورية الجزائرية، إلا أن إيمان الرجل لا يزال يقوم على عدم الانفصال التام، ويبدو أن قيادة ومناضلي الاتحاد الديمقراطي كان لديهم قبولا شعبيا مهما في هذه المرحلة ويستدل على ذلك النتائج التي حققها الحزب في انتخابات المجلس التشريعي الفرنسي حيث حاز 11 مقعدا من مجموع 13 مقعدا، وهذا الاكتساح قاد فرحات عباس إلى طرح مشروع دستور جديد للجزائر، قدم للبرلمان الفرنسي تضمن النقاط الآتية:

- إنشاء جمهورية جزائرية تتمتع بالاستقلال الذاتي ولها علمها الخاص.
- تتمتع الجمهورية بالسيادة المطلقة على كامل القطر، وتشرف على كامل المرافق الداخلية ومنها جهاز الشرطة.
- يتمتع كل فرنسيي الجزائر بالجنسية الجزائرية وبجميع الحقوق التي للجزائريين وينطبق الأمر ذاته على الجزائريين المتواجدين بفرنسا.
- تكون هذه الجمهورية عضوا في الاتحاد الفرنسي كدولة مشاركة.
- يكون لفرنسا في الجزائر ممثل عام معتمد من حكومة الجزائر تمنح له صلاحيات استشارية فقط.

1 - فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص ص 195-196.

– اعتماد ازدواجية اللغة العربية والفرنسية كلغتين رسميتين، وجعل التعليم إجباريا بهما وفي متناول الجميع[1].

أثارت مقترحات الاتحاد الديمقراطي إعجاب حتى بعض كبار الموالين لفرنسا مثل ابن شنوف الذي رأى بأن حزب عباس قد أجاد عرض الطرح الاتحادي، وبالمقابل ثارت ثائرة الكولون الذين تملكهم الرعب، وذهب غلاتهم إلى حد تهديد الحكومة بالتمرد على قراراتها التي قد لا تكون في صالح الجزائر الفرنسية، ومن ذلك الرسالة التي وجهها رئيس مجلس العموم لعمالة الجزائر وعليها توقيع ثلاثة وعشرين من رفاقه حيث ورد فيها" لو أن المجلس الوطني يزود الجزائر بقانون لا يخدم مصالح الاستعمار، فإن ممثلي الأقلية الأوربية لن يترددوا في التوجه إلى غير الميتروبول ".[2]

لقد ظل عباسا منكبا على الدفاع عن أفكاره بمعية زملائه من النخبة ، موظفا كل القنوات المتاحة من صحافة ومشاركة انتخابية واتصالات مباشرة بالشخصيات الفرنسية بل أنه وصل إلى حد ترك المجال لحركة الانتصار لخوض معركة انتخابات البرلمان الفرنسي لشهر نوفمر 1946م، بعد رفض مصالي الحاج التحالف بين التنظيمين، وكتبت جريدة " المساواة " Egalite : لن يكون هناك تنافس بين مصالي وعباس، إن مصالي ورفاقه قد أبدوا رغبتهم في خوض المعركة دون الاشتراك مع أي حزب سياسي آخر وقد رأينا أنه ليس من حقنا الاعتراض على هذه التجربة، أو الإنقاص منها، خاصة وأنها شرعية تماما ومليئة بالعبر ".[3]

2/ نشاط جمعية العلماء المسلمين:

لقد استأنفت الجمعية برئاسة الإبراهيمي نشاطها بعد الحرب العالمية الثانية وحملت مذكرة وجهها رئيسها إلى الجامعة العربية ما يبرز موقفها من العملية السياسية حيث جاء فيها:" إن صفوة رأي الجمعية في السياسة الجزائرية، تحرير للجزائر على أساس العروبة الكاملة، والإسلام الصحيح، والعلم الحي، فهذه الجهود التي تبذلها جمعية العلماء في سبيل العربية والإسلام والتعليم كلها استعداد للاستقلال، وتقريب

1 - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 117-119.

2 - محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1999، ص ص 116-117.

3 - المرجع نفسه، ص 114.

لأجله "[1] فلم تتوانى في تشييد المدارس التي ارتفع عددها من 90 مدرسة عام 1947م إلى 181 مدرسة عام 1955م، وبعث النوادي والمساجد، وإنشاء الصحف والكشافة، وتوسيع قاعدة التعليم للفتيان والفتيات، واستعادة الأوقاف، والاهتمام بالمهاجرين.

كان انخراطها في الحراك السياسي بارزا، فقد دعت إلى مقاطعة الانتخابات البلدية في جويلية – أوت 1945م، والانتخابات الولائية في شهر سبتمبر من ذات السنة، وانتخابات المجلس التأسيسي الأول الذي نيطت به مهمة وضع دستور الجمهورية الرابعة في أكتوبر 1945م، كما ندد العلماء بقانون سبتمبر 1947م لكنهم ناضلوا في سبيل تطبيق بعض بنوده، كترسيم اللغة العربية، وفصل الدين الإسلامي عن الدولة وإلغاء الحكم العسكري عن مناطق الجنوب، لكن جهودهم لم تكلل، وكان للعلماء حضورهم أيضا في التحركات التي كانت تتم في القاهرة، حيث تبنوا بيان لجنة تحرير المغرب العربي بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي لعام 1948م، وشاركوا في تكوين الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها المؤسسة في 5 أوت 1951م بهدف التصدي لتجاوزات وطغيان الإدارة.[2]

إن انخراط الجمعية في الحراك السياسي الوطني، ودخولها في اتصالات مع قادة الرأي في الجزائر في نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات، وإدلائها بمواقف واضحة بشأن الكثير من القضايا التي تهم الجزائريين، وبالرغم من هذا الحضور، إلا أن الجمعية قد بدأت تعرف التململات في صفوفها، لاسيما منذ أن سافر رئيسها الإبراهيمي إلى المشرق سنة 1952م، وبقائه هناك بعيدا عن مجريات الأمور، حتى أن بعضهم ذهب إلى مقارنته بوضع مصالي الحاج، فكان إذن أن بدأ الصراع بين خليفته العربي التبسي، الذي لم يستطع إعطاء الجمعية الجرعة اللازمة لتطوير أنشطتها، حيث لم تتوافق شخصيته وطريقته في التسيير مع تيار ناقد يعتبر الشيخ محمد خير الدين أحد أبرز وجوهه وهو الذي قاد ما يشبه الانقلاب، مستغلا سفر التبسي لأداء فريضة الحج سنة 1954م، حيث قام بجولات وطنية في الجزائر، يخطب ويفتتح المؤسسات على غير عادته، ثم ختمها بالدعوة إلى انعقاد المجلس الإداري في أواخر شهر سبتمبر 1954م في غياب الرئيس ونائبه الأول وعشرة أعضاء من أصل 27 عضوا، وهو الاجتماع الذي أدخل تعديلات جذرية على هياكل الجمعية ووجه دعوة عاجلة لاجتماع عام لصياغة دستور جديد لها.

1 - كريمة عرعار، المرجع السابق، ص 28.

2 - بشير بلاح، التدافعات الثقافية في الأسطوغرافيا الجزائرية 1962 – 1998م جذورها والعوامل المؤثرة فيها منشورات المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر 2017م، ص 385.

وقد لخّص أبو القاسم سعد الله واقع الجمعية عشية الثورة على النحو الآتي: " لقد أصاب جمعية العلماء في هذه الفترة ما أصاب حزب الشعب الجزائري، من خصومة على الزعامة، ومزاحمة الجيل الجديد للجيل القديم، وركود في الهياكل والتوجيه العام، غير أن انقسام حزب الشعب أصبح معلنا عنه معروفا بينما ظل ما أصاب الجمعية في الخفاء ولولا الثورة التي لم تسمح ظروفها بعودة الإبراهيمي من مصر، ولا بعقد الاجتماع العام لكان من الممكن أن يحدث للجمعية ما حدث لحزب الشعب "[1].

لقد أشارت التقارير السرية الفرنسية في أوائل الخمسينيات إلى أن العلماء كانوا يمثلون أكبر الخطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر، فمدارسهم عبارة عن خلايا سياسية والإسلام الذي يمارسونه هو مدرسة حقيقية للوطنية، وأن 40% من السكان معهم.[2]

وإذا كان نشاط العلماء في الميدان السياسي لم يكن بارزا مثل نشاط الأحزاب السياسية البحتة فأنهم استطاعوا بوعظهم المستمر، أن يخلقوا رأيا عاما معتبرا دينيا ووطنيا في نفس الوقت، لمواجهة الأيديولوجيات الأجنبية، بل أنهم كانوا جديرين بأن يفخروا بأنهم الوحيدون الذين استطاعوا أن يقدموا للجزائريين بديلا، في شكل نظريات عربية إسلامية أصيلة، تضع حدا نهائيا للتبعية السياسية والثقافية ومع ذلك، فإن حركة العلماء كانت تبدو عشية الثورة التحريرية كحركة محافظة ، بل ورجعية في نظر الشباب الوطني الثوري، وهذا الحكم الأخير، يبدو قاسيا جدا على العلماء، الذين لم يكونوا يختلفون عام 1954م عن غيرهم من الحركات الوطنية الأخرى، حيث كان فيهم الثوريون والمحافظون، وإذا كان بعض العلماء لم يبادروا بالانضمام إلى الثورة في أول الأمر فإنهم بالمقابل لم يقفوا ضدها.[3]

3/ الحزب الشيوعي الجزائري: بين الاستمرارية والمراجعات 1946-1954م:

من المعروف أن الحزب الشيوعي الجزائري قد واصل نشاطه السياسي خلال الحرب العالمية الثانية، باستثناء الفترة التي تعرض فيها للحل بين 1939 – 1942م، ولم يتعرض مناضلوه وقيادته لما أصاب باقي تشكيلات الحركة الوطنية من إجراءات الملاحقة والسجن على يد الإدارة الاستعمارية وعقب المجازر المروّعة التي حصلت بداية من الثامن ماي 1945م ، والتي جاء موقف الحزب الشيوعي

1 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع،، الجزائر 2007، ص ص 65-67.

2 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، المرجع السابق، ص 103.

3 - عبد الكريم بوالصفصاف، المرجع السابق، ص 149.

حولها مطابقا لما أبداه رديفه الفرنسي، فقد كال الاتهامات لإطارات حزب الشعب الجزائري محملا إياهم مسؤولية إراقة الدماء ومدعيا بأنهم يعملون في ركاب النازية وينفذون تعليمات هتلر التي لا تخدم سوى مصالح الإقطاعيين الذين ينادون بالانفصال عن فرنسا، وقد وصف الأمين العام للتنظيم وقتئذ عمار أوزقان في جريدة الحرية Liberté قادة حزب الشعب بالمجرمين عملاء الفاشية والمغامرين الذين سقط عنهم القناع، وبعد عدة أشهر حاولت القيادة أن تستدرك الأمر لتقليص الهوة الفاصلة بين أيديولوجيتها والأيديولوجية الوطنية.[1]

وتطالعنا مقررات المؤتمر الثالث المنعقد في أواخر مارس 1946م برئاسة السكرتير الأول عمار أوزقان بمطالب يتعلق بعضها برفع تمثيل الجزائريين المسلمين بالبرلمان الفرنسي من 13 إلى 21 عضوا والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية، وإلغاء البلديات المختلطة في الجنوب، وتطبيق القوانين الإدارية في الجزائر مثل قانون الجمعيات علاوة على مطالب ذات بعد اجتماعي اقتصادي من أبرزها تطوير القطاع الفلاحي ومراجعة سقف الأجور في القطاعين الصناعي والتجاري ، وهي تعكس ربما تحولا في مواقف الحزب، الذي حاول التقرب من باقي التيارات الوطنية ، حيث دعا إلى تأسيس جبهة وطنية ديمقراطية في شهر جويلية 1946م، وقام بتغييرات في هرم قيادته، فتم إبعاد أوزقان وتعيين العربي بوهالي أمينا عاما عام 1947م، كما ركز على النشاط النقابي والجماهيري، بتنظيم وتوسعة هياكل عدة جمعيات منضوية تحت لوائه على غرار اتحاد الشبيبة الديمقراطية الجزائرية U.J.D.A، واتحاد النساء الجزائريات U.F.A . [2]

بالنسبة للشيوعي ليون فيكس، فإن الحزب الشيوعي الجزائري هو الحزب الوحيد الذي يجمع بلا تمييز رجالا ونساء من جميع الأجناس، فهو حقا حزب الأمة الجزائرية الناشئة، وقد جاء في بيانه الصادر في شهر جويلية 1946م " ...وهذه الوحدة تؤلف أساس الأمة الجزائرية الناشئة الغنية بجهود جميع أبنائها، على اختلاف أصولهم وأجناسهم والمزيج الموفق للحضارتين الشرقية والغربية ".[3]

1 - محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، المرجع السابق، ص 88.

2 - جمعة بن زروال، الحركات الجزائرية المضادة للثورة التحريرية 1954 – 1962م، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011-2012، ص ص 49-52.

3 - ليون فيكس، المصدر السابق، ص 37.

وعموما، فقد ظلت الاتصالات قائمة بين الشيوعيين الجزائريين وباقي أجنحة الحركة الوطنية، وقد تلاقت المواقف في انتقاد الممارسات الاستعمارية، ولعل أبرزها مشاركة الحزب الشيوعي في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها 1951م.

4/ تأسيس الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية: التحولات والأزمات: تأسست عقب صدور قرار العفو الشامل، مما سمح بعودة المعتقلين السياسيين وفي طليعتهم مصالي الحاج، فكان لزاما الخروج من دائرة السرية التي ظل ينشط فيها حزب الشعب المنحل خلال الحرب العالمية الثانية إلى دائرة النشاط العلني على غرار باقي تشكيلات الحركة الوطنية، فكان الإعلان عن ميلاد حركة الانتصار في شهر نوفمبر 1946م كواجهة قانونية لحزب الشعب، وقد كان من بين الشخصيات المؤسسة زيادة على مصالي كل من الأمين دباغين وحسين لحول، وأحمد مزغنة ومحمد خيضر، وأحمد بودة وكانت المسألة الأولى التي جابهت هذا التنظيم هي النهج الجديد في التعاطي مع الإدارة الاستعمارية، وفي طليعة ذلك دراسة مسألة المشاركة في العملية الانتخابية أو رفضها وبالفعل وبعد نقاشات تم ترجيح خيار المشاركة بدعم من القائد مصالي الذي ترشح في قائمة مدينة الجزائر ولكن الإدارة الاستعمارية رفضت تزكيته.

لقد أسهمت الحملة الانتخابية وفقا لبن يوسف بن خدة في تحقيق مكاسب ايجابية للحزب فقد سمحت له بان يكون متناغما مع الجماهير، وجعلوا من التجمعات الانتخابية فضاءات للحديث عن السيادة الوطنية والاستقلال في بعث جديد بعد سنوات تكميم الأفواه فكان لتلك النشاطات القبول الحسن لدى غالبية السكان.[1]

إن التغيير المباغت في الخط السياسي للحزب أحدث صدمة عنيفة في القاعدة حيث كان من الصعب على المناضلين الذين كانوا ينتقدون ويعارضون سابقا فكرة التوجه للاشتراك في المناسبات الانتخابية إلى حد رفع يافطات " من انتخب فقد كفر "، أن ينقلبوا على قناعاتهم تلك ويتحولون من النقيض إلى النقيض، زيادة على ذلك، فإن مجاراة الطرح القائل بالانخراط في المسار الانتخابي ومن ذلك انتخابات البرلمان الفرنسي والقبول بمسألة التمثيل في هذا المنبر، يعني التناطح مع مبدأ الاستقلال التام الذي تم رفعه منذ سنوات عديدة، ويدخل في هذا المخاض كذلك تركيبة المناضلين المنتسبين إلى الحزب

1 - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع الجزائر، 2012، ص ص 161-163.

خلال فترة الحرب العالمية الثانية، والذين وجدوا أنفسهم على المستوى التنظيمي ينشطون سريا،وعلى المستوى الاستراتيجي يحضرون للعمل المسلح، فكانت إذن ميولهم واستعداداتهم في خط مناقض لهذا التوجه الجديد،القائم على الممارسة السياسية الشرعية.[1]

عقدت حركة الانتصار مؤتمرها الأول في شهر فيفري 1947 بمدينة الجزائر وبعد مناقشات مطولة توصل المؤتمرون الذين انقسموا إلى جناحين أحدهما راديكالي بقيادة الأمين دباغين والآخر معتدل بزعامة مصالي الحاج، إلى إخراج تسوية قامت على أساس استمرار حركة الانتصار المكونة حديثا في النشاط الشرعي وتكوين منظمة شبه عسكرية مهمتها الإعداد نظريا للعمل المسلح في نهاية المطاف مع الإبقاء على خلايا حزب الشعب تنشط في السرية كما كانت سابقا.[2]

في الواقع فإن تذبذب مصالي الحاج بشأن تبني الخيار الثوري في هذه المرحلة يبدو معاكسا لأطروحة الزعيم التي ظل يدافع عنها منذ ظهوره على مسرح الأحداث في نهاية العشرينيات، وإذا كان اعتقاد الرجل في حتمية الوصول إلى العمل الثوري قد تكون محل إجماع فانه يبدو أن مفهومه لها كان مختلفا عن ما تم تداوله في مؤتمر فيفري 1947م، فالثورة عنده تقوم على التعبئة الشعبية ومن ثمة يتعين استغلال كل الإمكانات والفرص المتاحة التي توفرها الشرعية الاستعمارية لتحقيق هذا الشرط، والدعوة إلى تفجير الثورة قبل ذلك تعتبر بمثابة عملية لجر الحزب إلى إعصار غير محدد الشدة والاتجاه[3].

وفي تحليل حالة الجمود السياسي التي أصابت حزب الشعب / الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية خلال المرحلة التي أعقبت مؤتمر فيفري 1947م إلى ما بعد الأزمة البربرية لسنة 1949م يرى أحد المعاصرين أنه بالنسبة لمصالي الحاج فإن مكانته وهيبته لدى الجماهير ظلت على حالتها، ولم تكن تصدر عنه أية ردود أفعال إلا عندما يرى صلاحياته مهددة من طرف الغير، فلم يبادر برسم خط واضح ولا بتسطير طريقة كفاح ملموسة، لتحقيق المطامح الشعبية التي كان بطلها، وفي هذه الحال يبدو أن تصوره للثورة لم يكن يتعدى حدود الإثارة السياسية وأما المعتدلون أو ما يسمى بالمتعقلنين، فقد بالغوا في اشتراط الظروف المثالية التي ينبغي توفيرها قبل الشروع في الكفاح المسلح، ومن ذلك التحضير

1 - مصطفى سعداوي، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة نوفمبر 1947 – 1954م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص 41.

2 - صالح بلحاج، المرجع السابق، ص 40.

3 - مصطفى سعداوي، المرجع السابق، ص 56.

التقني والتنظيمي ورفع المستوى التربوي للجماهير وربط ذلك بالظروف الدولية الملائمة، وهي ذرائع لتأجيل العمل الثوري أو للتخلي عنه.[1]

أما في مجال التوعية والتثقيف فقد أصدر الحزب صحيفة " المغرب العربي" باللغة العربية وصحيفة " الجزائر الحرة " باللغة الفرنسية، زيادة على المنشورات الدورية،كما اتكأ الحزب على العديد من الجمعيات التي شكلها على غرار جمعية النساء الجزائريات التي رأت النور في شهر أفريل 1947م وفدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية، وفدرالية العمال المسلمين، وجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين في أفريل 1948م، زيادة على مدارس التعليم العربي والجمعيات الرياضية والفرق المسرحية[2].

كان من بين المسائل التي شكلت خطورة على وحدة صفوف الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، انفجار الأزمة المسماة " الأزمة البربرية"، حيث ذهب البعض إلى حد الانتقاد العلني لحزب الشعب وتم التهجم أساسا على توجهه العربي الإسلامي، وكان متزعمو هذا الاتجاه من المناضلين المنحدرين من منطقة القبائل، وقد سعوا إلى إنشاء حزب الشعب القبائلي PPK، وقد بدأت دعاية هؤلاء بين العمال المهاجرين بفرنسا، وحتى داخل الجزائر على مستوى طلبة جامعة الجزائر ومناضلي منطقة القبائل ووهران، وقد توصلت قيادة حزب الشعب برسالة عام 1949م تحدث فيها المناضل بناي واعلي عن ضرورة تكوين حزب الشعب القبائلي، فاعتبرتها محاولة للتقسيم وتعاملت مع المشاركين فيها أو المتعاطفين معها على هذا الأساس، وقد تمكن الحزب من القضاء عليها، وانتهى المآل ببعض المناضلين المتهمين بالنزعة البربرية إلى إنكار الطابع الانفصالي فقد صرح أحدهم وهو فرحات علي بأن " حزب الشعب القبائلي لم يوجد ولن يوجد أبدا لسبب وحيد وهو أنه لا يوجد سوى شعب جزائري عناصره مع أنها مختلفة لكنها تعيش متحدة أخويا بالإرادة نفسها للتحرير الوطني، أما من جهتي فطالما اعتقدت بأن الجزائر لا هي عربية ولا بربرية ولا يمكن لها أن تكون إلا جزائرية ".[3]

1 - أحمد مهساس، المصدر السابق، ص ص 326-327.

2 - سليمان قريري، تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010-2011، ص ص 170-171.

3 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2 1939-1951، ترجمة أحمد بن البار، شركة دار الأمة الجزائر، 2011، ص ص 1086 – 1087.

الحركة الوطنية بين السياسة الفرنسية والمبادرات الوطنية 1947-1954م

لا شك أن تأثيرات الحـ ع 2 على فرنسا لا يمكن إغفالها، ومن ذلك التأسيس لمنظومة سياسية جديدة سميت بالجمهورية الرابعة التي ولدت بعد استفتاء أكتوبر 1946م وفي محاولة منها لتدارك الزمن واحتواء المطالب الجزائرية صادقت على حزمة إصلاحات هزيلة رافقتها دعاية قوية وهي التي عرفت بالقانون التنظيمي أو دستور الجزائر في 20 سبتمبر 1947م.

لقد نص هذا القانون على إلغاء المجالس المالية وتعويضها بما أصبح يسمى " المجلس الجزائري "، كما تضمن سلسلة من الإجراءات التي اعتبرت ليبيرالية قياسا إلى الماضي ومنها تعليم اللغة العربية في جميع المستويات التعليمية، وفصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية، وإلغاء البلديات المختلطة، وإنهاء التنظيم الخاص بالجنوب.[1]

إن هذا القانون التنظيمي المسمى le Statut de l'Algérie والذي شمل 8 أبواب و60 مادة قد تضمن بعض المواد التي ظاهرها استجابة للمطالب الجزائرية السابقة، إلا أنه في الحقيقة قد ضرب في الصميم التطلع الرئيس للاستقلال، فقد نصص على تبعية الجزائر لفرنسا، وقزّم دور الجزائريين في تسيير شؤون بلادهم، ووضع المسألة في يد حاكم عام توجهه باريس، كما جعل من المجلس الجزائري المستحدث مجرد هيئة استشارية فضلا على طابعه غير التمثيلي وغير الديمقراطي باعتباره يضم 120عضوا مناصفة بين المستوطنين والجزائريين.[2]

وذهب السياسي الفرنسي ليون بلوم تعليقا على القانون التنظيمي إلى القول:" إنه يضع حدا نهائيا للوهم القديم الذي تعبر عنه سياسة الإدماج، إنه يتناول حقيقة المشكل الجزائري، إنه يسعى في تسوية علاقات شعبين يعيشان على أرض واحدة، لكنهما مختلفان متمايزان، لا سبيل إلى إدماجهما الواحد في الآخر، عازمان على البقاء مستقلين الواحد عن الآخر، وذلك في نطاق الاتحاد الفرنسي ".[3]

وفي التحاليل التي ذهب إليها بعض الكتاب الفرنسيون، رأى أجيرون أن قانون 20 سبتمبر 1947م الذي اعتبره المستوطنون مخزيا، وصنّفه الجزائريون بأنه متعسفا فكان أن ظهرت ردة الفعل في

1 - بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 165.

2 - بشير بلاح، التدافعات الثقافية في الأسطوغرافيا الجزائرية 1962 – 1998م جذورها والعوامل المؤثرة فيها المرجع السابق، ص ص 468-469.

3 - شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 353.

الانتخابات البلدية التي جرت في أكتوبر 1947م التي فاز فيها مترشحو الحركة من أجل الانتصار والاتحاد الديمقراطي، فلجأت السلطات الفرنسية إلى تأجيل انتخابات المجلس الجزائري واستبدال الحاكم العام شاتينو Chataigneau الذي اعتبر بأنه ذو شخصية ضعيفة ، وعوض بايدموند نايجلان [1]Naegelen الذي قرر تحطيم نفوذ المسلمين، عن طريق إجراء انتخابات تهندسها الإدارة، وبالفعل تمت عملية تزوير مفضوحة في انتخابات افريل 1948م الخاصة بالمجلس الجزائري قادت إلى فوز المرشحين الإداريين بـ41 مقعدا من أصل 60 مقعدا مخصصة للهيئة الثانية أي الكتلة المسلمة، بينما عاد لحركة الانتصار 09 مقاعد وللاتحاد الديمقراطي 08 مقاعد، ونال المستقلون مقعدين، وهكذا سيطر التزوير على باقي الانتخابات مما جعل الحكومة المركزية في باريس شريكة في هذه المؤامرات،[2] وهكذا صارت فبركة الانتخابات أنموذجا متداولا مرجعيته نايجلان، مما جعل أحد المسؤولين الفرنسيين يتفوه:" آه، كان عليهم على الأقل أن يستتروا وألا يزوروا في وضح النهار ".[3]

سجل مطلع الخمسينيات حركة سياسية نشطة أعقبت عمليات القمع العنيفة الممارسة خلال أحداث 8 ماي 1945م وتأثر الاتجاه الثوري بالضربات التي تلقتها المنظمة الخاصة بتفكيكها في شهر مارس 1950م وقيام النظام الاستعماري بمهاجمة النشاطات البرلمانية وتزوير الانتخابات في شهر جوان 1951م لذلك كان لابد من إعادة توحيد الجهود في إطار منظم يمكنها من بعث الأمل في نفسية الشعب الجزائري المحطمة وبالفعل توحدت الجهود وظهرت باسم الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها التي انعقد اجتماعها التأسيسي يوم 25 جوان 1951م بالجزائر العاصمة حيث ضمت ممثلين عن العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وحركة الانتصار والحزب الشيوعي الجزائري زيادة على شخصيات مستقلة وعقدت اللجنة التأسيسية اجتماعا لها بالجزائر يوم 05 أوت 1951م حيث أعلن رسميا عن ميلاد تلك الجبهة ووقع الاتفاق على خمسة مطالب رئيسة وهي:

1 - عضو الفرع الفرنسي في الأممية الاشتراكية، صرح في خطاب بفرنسا بتاريخ 24 فيفري 1948م عقب تعيينه حاكما عاما بالقول:" سوف أقف بالمرصاد بكل ما أوتيت من قوة لإحباط أية محاولة انفصالية وإني ذاهب إلى الجزائر تحدوني عزيمة قوية ...لكي أخدم ما استطعت مصالح فرنسا ". ينظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 168.

وقال عنه جوليان:" شرع في مهمته الجديدة لا فقط بحماس في الشغل وثبات في العمل، لا يحجبان أمام أي عقبة، بل بإرادة متحمسة لإقرار السيادة الفرنسية من جديد بتمامها وكمالها ". ينظر: شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 355.

2 - شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 357. وأيضا: شارل روبير أجيرون، المرجع السابق، ص ص 155-156.

3 - صالح بلحاج، المرجع السابق، ص 44.

- إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت في 17 جوان 1951م.
- احترام حرية الانتخابات في القسم الثاني.
- احترام الحريات الأساسية: حرية الفكر والصحافة والاجتماع.
- محاربة القمع بجميع أنواعه، وتحرير المعتقلين السياسيين وإبطال التدابير الاستثنائية المسلطة على مصالي الحاج.
- إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية.

لقد أبدت هذه الجبهة اهتماما بمشاكل القطر، فكانت ترسل وفودا عنها إلى مختلف مناطق الوطن وتقوم بإعداد التقارير عن الوقائع وترسلها إلى الإدارة الاستعمارية، كما تعاملت مع قضايا المغرب العربي بإبداء مواقف الاحتجاجات والاستنكار وإرسال برقيات التعاطف كما حصل في مطلع عام 1952م عقب موجة الاعتقالات التي طاولت سياسيين تونسيين كان من بينهم الحبيب بورقيبة.[1]

والواقع أن نشاط الجبهة قد استوقف المتتبعين للساحة الوطنية في مطلع الخمسينيات، فقد استطاعت لمّ شمل اتجاهات متناقضة أحيانا وجمعها حول برنامج محدد وهو ما يشكل نقطة تحول هامة إلا أنها لم تدم طويلا ، وبرأي أحد معاصريها، " فإن هذه الجبهة كانت جسما هشا، لأنها لم تكن مبنية على وحدة الاتجاه ووحدة المبدأ وعلى اقتناع قلبي وعقائدي، لذلك لم تستطع مقاومة اختلاف الآراء وتلاشت شيئا فشيئا دون انفجار ظاهر".[2]

وفي نفس السياق كتب محمد حربي" ولئن أمكن إيجاد قاسم مشترك أدنى لتحقيق الوحدة حول مسألة النضال من أجل الحريات، فإن الأمر لم يدم أكثر من سنة ، وهكذا فإن الجبهة الجزائرية التي بعثت في أوت 1951م لم تلبث أن تلاشت وسط لامبالاة الجماهير بعد أن شلتها الخلافات بين دعاة تعبئة الشعب وأنصار الحوار مع فرنسا ".[3]

1 - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص ص 229-235.

2 - عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، المصدر السابق، ص ص 180-181.

3 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، المصدر السابق، ص 15.

لقد أصبح العمل الوحدوي بين التيارات الجزائرية يرى من خلال المجال الانتخابي المحض حيث تبذل الأحزاب الوطنية كل طاقاتها، ولكن الانتخابات المزيفة يوم 17 جوان 1951م دفعت بتلك الأحزاب إلى تحقيق وحدة جديدة في العمل ، ومن هنا نشأت الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها في الخامس من شهر أوت 1951م ، فكان جوهر نضالها منصبا على العملية الانتخابية واحترام الحريات حيث طالبت بإلغاء نتائج الانتخابات التشريعية ليوم 17 جوان 1951م واحترام حرية التصويت، ولكن ضعف برنامجها قد قادها إلى التلاشي سريعا.

لم تتوقف لاحقا الدعوات إلى الاتحاد بالرغم من التنافس الحاد الذي حصل بمناسبة الانتخابات البلدية لشهري أفريل وماي عام 1953م، ومن تلك الدعوات التي رآها البعض أفلاطونية وغير واقعية، نجد نداءات الحزب الشيوعي في الفاتح نوفمبر 1953م لإنشاء جبهة ديمقراطية جزائرية وأيضا الحملة التي قمت بها الحركة من أجل الانتصار حينما دعت في العاشر من ديسمبر من نفس العام إلى التحضير لمؤتمر وطني جزائري يضم كل الأحزاب السياسية، والمنظمات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والشخصيات المستقلة بل ومفتوح لكل الجزائريين دون تمييز ولكن مصير هذا النداء كان التجاهل وأكثر من ذلك فحركة MTLD التي أطلقته قد دخلت في أزمة خطيرة بين أجنحتها المتصارعة.[1]

1 - سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح: دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، ترجمة محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال الجزائر، 2002، ص ص 56-57.

المحاضرة الرابعة عشرة: من المنظمة الخاصة إلى ظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل: خيار الكفاح المسلح من التأجيل إلى التفعيل.

ميلاد المنظمة الخاصة ومآلها:

لا شك أن المحاولات الهادفة إلى إعادة امتشاق السلاح كان لها حضورها خلال أحداث الحرب العالمية الثانية، غير أن ظروف الحركة الوطنية على مستويات التفكير والتنفيذ لم تكن تسمح بتفعيل هذا الخيار، ومع إفرازات نهاية الحرب، وعمليات القمع الوحشية التي تعرض لها الجزائريون، بات من الضروري التفكير الجدي في مسألة الكفاح المسلح بما يتطلبه من تحضيرات، وضمن هذا المنظور جاء خلق المنظمة الخاصة.

لقد أسندت قيادة المنظمة الخاصة التي تقرر تشكيلها خلال مؤتمر فيفري 1947م إلى شخصية محمد بلوزداد[1]، تساعده هيئة أركان تتولى مسؤولية الأقاليم التي قسمت إليها الجزائر، فكان حسين آيت أحمد نائبا له ومسؤولا عن منطقة القبائل، وتولى بوضياف عمالة قسنطينة، وأسندت إلى أحمد بن بلة عمالة وهران، بينما جعلت عمالة الجزائر في دائرتين، الجزائر1، وتشمل العاصمة ومتيجة والتيطري، وتولاها جيلالي رجيمي والجزائر2، وتشمل الظهرة والشلف، وتولاها عبد القادر بلحاج جيلالي.[2]

كان انتقاء العناصر المنضوية في هذا التنظيم صارما، ويبنى على معايير عديدة حيث تشمل النضال والوفاء للحزب والإيمان بالاستقلال، والشجاعة وقدرة التحمل، وأن يكون المجند شابا ديناميكيا متحررا من الالتزامات لاسيما العائلية، وأن يتصف بالذكاء دون فرض مستوى تعليمي محدد، غير أن الأولوية تعطى لذوي القدرات الفكرية، وأخيرا ألا يكون ملفتا للانتباه بمعنى يعرف ويمارس معنى السرية.[3]

تمكنت المنظمة في غضون عدة أشهر أن تجند في صفوفها مابين 1000 إلى 1500 مناضل تلقوا تكوينا سياسيا مشبعا بالأيديولوجية الوطنية، وتدريبا عسكريا نظريا وتطبيقيا على الخطط القتالية

1 - كتب محساس حول هذا القائد الآتي : " أوكلت مهمة تهيئة هذه المنظمة السرية إلى محمد بلوزداد، وكان عمره 24 سنة، وهو عضو في المكتب السياسي ومناضل ذو قيمة نادرة، كان نموذجا حيا للجيل الثوري، تميز بتواضعه وذكائه الفذ، وكفاءته العالية في التنظيم وروح التضحية في سبيل القضية الثورية، لم يكن معروفا لدى الجماهير العريضة، لكنه كان يحظى باحترام كبير لدى المناضلين " ينظر: أحمد محساس، المصدر السابق، ص 293.

2 - بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص ص 183-184.

3 - الحسين آيت أحمد، المصدر السابق، ص 149.

والمناورات وحرب العصابات، والتعرف على الأسلحة تفكيكا وتركيبا واستعمالا، وسعت المنظمة للحصول على الأسلحة والذخيرة بكافة الطرق داخل وخارج الوطن، وحددت مناطق التدريب في الجبال والوديان والغابات والصحاري كما أنشأت شبكات لوجستيكية على غرار شبكة التواطؤ Réseau de complicité التي أسند لها توفير الملاجئ السرية لإيواء المطاردين من الشرطة وإعداد مخابئ الأسلحة والذخيرة، وتكفلت شبكة الاتصالات Réseau de transmission باقتناء أجهزة الاتصال وتجهيزها تقنيا والتدرب على استخدامها.[1]

بعد ما يقارب ثلاث سنوات على تأسيس المنظمة السرية ووسط حالة الترقب والانتظار التي كان يعيشها أفرادها وكوادرها، وفي ظل عدم اتضاح الرؤية للقيادة السياسية لحركة الانتصار بشأن العمل الثوري أخذ الملل والشعور بالمرارة يتسرب إلى النفسيات، وفي خضم هذا الجو جاءت حادثة 18 مارس 1950م والتي ملخصها قيام أحد مناضلي حركة الانتصار المدعو عبد القادر خياري الذي تعرض للفصل من الحزب بمنطقة تبسة بسبب انتقاداته لمصداقية الحركة وتهديده بكشف أسرارها، فكان أن قامت مجموعة من عناصر المنظمة الخاصة باعتقاله قصد تخويفه، غير أنه تمكن من الفرار وإبلاغ المصالح الأمنية بالمنطقة التي تحركت على الفور في حملة استنطاق وتعذيب عرفت توسعا من منطقة الشرق إلى كل مناطق الجزائر ، وأفرزت إيقاف أزيد من 400 عنصر، والعديد من الإطارات على غرار أحمد بن بلة المسؤول الوطني للمنظمة.[2]

ويبدو أن النتائج الايجابية التي حققتها المنظمة الخاصة على مستوى التكوين والاستعداد لم ترق قيادة حركة الانتصار التي لم تكن ترغب في قطع جميع العلاقات مع الإدارة الاستعمارية واستدل على ذلك بكونها لم تعط الإشارة الخضراء لبدء المعركة الحاسمة، ودخلت في مسلك التسويف والمماطلة مما مكن سلطات الاحتلال من اكتشاف التنظيم سنة 1950م، وشن حملات قوية من القمع والمطاردة لتفكيكه بل لم يستبعد أن تكون لقيادة الحزب يد في عملية الاكتشاف ذلك أن المنظمة الخاصة أصبحت تشكل خطرا قد ينسفها من الداخل، ولما كان من غير المنطقي القيام بحلها بدون مبرر، فمن الممكن أن تكون قد ساهمت بكيفية ما في جعل المستعمر يفكك خيوطها، وبالتالي يتم التخلص منها، كما أن محاولات

1 - شايب قدادرة، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري 1934-1954م دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007، ص 344. (اعتمدنا ترتيب رقم الصفحة الالكتروني لخلو الأطروحة من الترقيم)

2 - أحمد مهساس، المصدر السابق، ص ص 332-333.

الإطارات الناجية من الملاحقات الأمنية بإعادة تفعيل هياكل المنظمة لم تلق الاستماع من قيادة الحزب التي لجأت إلى حلها نهائيا عام بعد ذلك.[1]

وفي نفس التحاليل يذهب سليمان الشيخ، الذي رأى بأن تبعثر شبكات المنظمة الخاصة قد استقبل باللامبالاة، إن لم نقل بالارتياح من قبل بعض قادة حزب الشعب/ MTLD الذين آمنوا بالشرعية، وكانوا حريصين كل الحرص على توفير دماء أفراد الحزب، وتخليصه من المسؤولية بحمل الناس على الاعتقاد بوجود مؤامرة استعمارية لكن هذه الضربة القاسية للمنظمة الخاصة سينعكس أثرها على الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية التي ستجد انسجامها قد تضرر بصورة جدية.[2]

وبالنسبة لمحفوظ قداش، فإذا كانت المنظمة الخاصة قد حلت رسميا، إلا أن الشعلة الثورية التي كانت أساس تكوينها لم تنطفئ، ذلك أن قدماء المنظمة سواء كانوا في المنفى أو في السجون أو استوعبتهم حركة الانتصار في مناصب جديدة، فإنهم كانوا يمثلون ثوريي الطليعة، الذين أحبطهم الفشل بالتأكيد لكنهم كانوا متمرسين وعازمين على استئناف العمل المسلح، فتاريخ علاقاتهم ومحاولاتهم بعد 1951م يمثل المصادر الأساسية والمباشرة لدراسة أسباب اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م.[3]

تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل:

في الواقع، وكما كتب سليمان الشيخ، فإنه لا المصاليون ولا المركزيون الذين كانوا أمام الاختيار بين ثنائية العمل القانوني/ العمل المسلح، قد استطاعوا أن يثبتوا اختيارهم بكيفية ملموسة ونهائية، فكلا الفريقين، بالرغم من أنهما استوعبا عبث النضال ضمن الشرعية الفرنسية لكنهما لم يقررا الانحياز للعمل المسلح، ذلك أنهما لم يشعرا بالقدرة على القيام به، وبصورة أقل على قيادته.[4]

وسط جو الصراع القائم بين الجناحين، جاء ظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل كمبادرة تستهدف تقريب هوة الخلاف بين الإخوة الفرقاء أعضاء اللجنة المركزية من جهة، والكوادر المتحلقة حول

1 - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1984م ص ص 79-80. ينظر أيضا: أحمد مهساس المصدر السابق، ص ص 334-335.

2 - سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 58.

3 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2 1939-1951، ترجمة أحمد بن البار، شركة دار الأمة الجزائر، 2011، ص 1153.

4 - سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 60.

الزعيم مصالي من جهة أخرى، وهي الثنائية التي باتت تعرف في الكتابات التاريخية بالمركزيين والمصاليين واستنادا إلى رواية محمد بوضياف وهو أحد المؤسسين لتلك اللجنة، فإن مشروع تكوينها يقف خلفه مجموعة من قدماء المنظمة الخاصة، وهم مراد ديدوش، ورابح بيطاط والعربي بن مهيدي، ومحمد بوضياف، ثم التحق بهم مصطفى بن بوالعيد، وعقب نقاشات ومشاورات تم التوجه للاتصال بعضوين بارزين في اللجنة المركزية لحركة الانتصار وهما بشير دخلي ورمضان بوشبوبة، وأسفرت عملية التنسيق معهما على تشكيل لجنة رباعية مناصفة بين الطرفين، ضمت كل من بن بوالعيد، وبوضياف، ودخلي وبوشبوبة وهي التي قامت بإعلان ميلاد اللجنة الثورية بتاريخ 23 مارس 1954م.[1]

وحملت رواية بن خدة بعض المعطيات المختلفة مع بوضياف، وتتعلق بالشخصيات المؤسسة والمكان، حيث أورد بأن اتصالات قد جمعت بوضياف بحسين لحول، وسيد علي عبد الحميد والتحق بهم فيما بعد محمد دخلي، وقد اتفق هؤلاء على إنشاء الهيئة بمقر مدرسة الرشاد بالجزائر العاصمة، وبعد مدة وجيزة على ظهور اللجنة الثورية التحق بها مصطفى بن بوالعيد، ورمضان بوشبوبة.[2]

وقد قام أعضاء اللجنة استمرارا في نشاطهم، بإنشاء نشرية داخلية سميت " الوطني Le Patriote "، التي أصدرت ستة أعداد بداية من شهر أفريل إلى غاية الخامس جويلية 1954م وكانت تسحب في مقر الكشافة الإسلامية الجزائرية، ويشرف عليها حسين لحول،حيث عملت هذه الوسيلة الإعلامية، على محاولة إحداث التقارب ما بين مختلف المناضلين الراغبين في إيجاد حل لأزمة الـMTLD[3].

إن الشهادات التاريخية المتوفرة لا تقدم أية إشارات حول خلفية التسمية CRUA على الرغم من أنها في ظاهرها تبدو أكثر انسجاما مع توجه نشطاء المنظمة الخاصة وهذا ما يدل عليه صفة الثورية، التي وسمت بها اللجنة نفسها، كما أن هدفها الأول تمثل في السعي إلى تحقيق وحدة الصف داخل التيار السياسي المتأزم، عبر آلية الوساطة والدعوة إلى مؤتمر ديمقراطي موسع، وإذا كان تعبير وحدة الصف تعني بالنسبة للمركزيين التوصل إلى حل الأزمة السياسية، بما يقود إلى انتصار الجهاز على القيادة الفردية

1 - محمد بوضياف، التحضير لأول نوفمبر 1954، ط2، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص ص 42-43.

2 - بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص ص 335-336.

3 - محمد تقية، الثورة الجزائرية المصدر الرمز والمآل، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر 2010، ص 142. ينظر أيضا: بن يوسف بن خدة المصدر السابق، ص 336.

للزعيم، فإن الوحدة المذكورة، تعني في منظور زملائهم في المنظمة الخاصة الخطوة الضرورية لإعادة قطار التيار الاستقلالي إلى سكته، وتفعيل الغاية التي وجد من أجلها، وهي العمل الثوري لتغيير الواقع الاستعماري.[1]

بعد مساع حثيثة، وجهود كبيرة من فريق اللجنة التي كانت تسابق الزمن لاحتواء الصراع وعلى مدار ثلاثة أشهر من النشاط لم يتحقق الغرض المنشود، جاء المنعطف التاريخي المهم حينما بادر أعضاء المنظمة الخاصة وفي مقدمتهم بن بوالعيد، وبوضياف وديدوش، وبن مهيدي، وبيطاط لعقد الاجتماع التاريخي الحاسم المشهور باجتماع الـ22 في 25 جوان 1954م موقعا القطيعة مع الماضي، معلنا ميلاد ما اصطلح عليه بالقاعدة الأولى للثورة الجزائرية.[2]

1 - عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص 84.

2 - محمد تقية، المرجع السابق، ص 142. وأيضا: سليمان الشيخ، المرجع السابق، ص 69.

بيبليوغرافية المطبوعة

[1] - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2(1900-1930)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983.

2 - بوعباش مراد، الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1962، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية فرع التنظيم السياسي والإداري، قسم العلوم السياسية، جامعة الجزائر 3، 2010-2011.

3 - قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 1919-1939، ترجمة أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011.

4 - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

5- أجيرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ترجمة مسعود حاج مسعود و ع. بلعريبي ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

6 - جوليان شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسير: القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.

7 - الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.

8 - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر 2007.

9 - صافر فتيحة، " ظهور حركة الشبان الجزائريين "، مجلة عصور الجديدة، المجلد 8، العدد 1، مختبر تاريخ الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، شتاء – ربيع 2017-2018.

10 - سحولي بشير، مواقف النخبة الجزائرية المفرنسة من القضايا الوطنية 1900- 1939، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2014-2015..

11 - برفيليي غي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880 – 1962، ترجمة مسعود حاج مسعود وآخرون دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

12 - قنانش محمد، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

13- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.

14 - عباس فرحات، الشاب الجزائري، ترجمة أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

15 - مناصرية يوسف، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919 - 1939م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص ص 45-46.
16 - زوزو عبد الحميد، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914 – 1939 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 12-13.
17 - مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1898 – 1938م، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر 2007، ص 135.
18 - مهساس أحمد، الحركة الثورية في الجزائر 1914 – 1954م، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 126..
19 - سطورا بنيامين، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898 – 1974م، ترجمة الصادق عماري ومصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص ص 142-143.
20 - مالكي أمحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 1994، ص 285.
21 - سلام صادق، فرنسا ومسلموها: قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005م، ترجمة زهيدة درويش جبور، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة، 2012.
22- مرّاد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940م، ترجمة محمد يحياتن، طبعة خاصة، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
23 - بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1997.
24 - بوالصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 – 1945م، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996.
25 - خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني: النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899 – 1983م، دار المحابر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
26 - المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
27 - عرعار كريمة، دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة 2005-2006.
28 - المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، البليدة، الجزائر، 1963.

29 - سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
30 - بن نبي مالك، مذكرات شاهد للقرن، ط2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1984.
31 - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931 – 1956م، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
32 - عباس فرحات، حرب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار، تعريب أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، د.ت.
33 - شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير: القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.
34 - شبوب محمد، الجزائر في الحرب العالمية الثانية 1939-1945م: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2014-2015م.
35 - أوعامري مصطفى، " الحزب الشيوعي الجزائري والمسألة الوطنية 1920 – 1954م "، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، .جوان 2016.
36 - حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، موفم للنشر الجزائر، 1994.
37 - فيكس ليون، الجزائر حتف الاستعمار، ترجمة محمد عيتاني، منشورات مكتبة المعارف، بيروت 1958.
38 - قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 (1919-1939م)، ترجمة أمحمد بن البار، دار الأمة الجزائر، 2011.
39 - المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
40 - الميلي محمد، المؤتمر الإسلامي الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.
41 - أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات بيروت، لبنان، 1982.
42- Benjamain Stora et Zakya Daoud, Ferhat Abbas une autre Algérie, Casbah Editions, Alger, 1995.
43 - بلحاج صالح، تاريخ الثورة الجزائرية: صانعو أول نوفمبر 1954، دار الكتاب الحديث، الجزائر 2010.

44- آيت أحمد حسين، روح الاستقلال مذكرات مكافح 1942-1952، ترجمة سعيد جعفر، منشورات البرزخ، د.م 2002.
45- بن حمودة بوعلام، الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر معالمها الأساسية، دار النعمان للطباعة والنشر د.م، 2012م.

46 - قدادرة شايب،" تحولات الحركة الوطنية الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية 1945-1954م"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 30، جامعة منتوري قسنطينة، ديسمبر 2008.
47 - معزة عزالدين، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985م مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2004-2005.
48 - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
49 - محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1999.
50 - بلاح بشير، التدافعات الثقافية في الأسطوغرافيا الجزائرية 1962 – 1998م جذورها والعوامل المؤثرة فيها منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2017م.
51- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع،، الجزائر، 2007.
52 - بن زروال جمعة، الحركات الجزائرية المضادة للثورة التحريرية 1954 – 1962م، أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011-2012.
53 - بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
54- سعداوي مصطفى، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة نوفمبر 1947 – 1954م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006م.
55 - قريري سليمان، تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954 أطروحة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010-2011.
56 - بن العقون عبد الرحمن بن براهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

57 - الشيخ سليمان، الجزائر تحمل السلاح: دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، ترجمة محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002.

58 - قدادرة شايب، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري 1934-1954م دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007.

59 - الزبيري محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة 1984م.

60 - قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2 1939-1951، ترجمة أمحمد بن البار، شركة دار الأمة، الجزائر، 2011.

61 - بوضياف محمد، التحضير لأول نوفمبر 1954، ط2، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2011.

62 - تقية محمد، الثورة الجزائرية المصدر الرمز والمآل، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر الجزائر، 2010.

63- حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

64- خيثر عبد النور، تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954 – 1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006.

الفهرس

رقم المحاضرة	عنوان المحاضرة	الصفحات
1	مدخل مفاهيمي حول الحركة الوطنية الجزائرية	4 - 8
2	الأساليب النضالية في الجزائر مطلع القرن العشرين	9- 15
3	الجزائر والحرب العالمية الأولى 1914-1918م:مشاركة ومكاسب	16- 29
4	من نجم شمال إفريقيا إلى حزب الشعب: نشاط التيار الاستقلالي 1926- 1939م – القسم الأول –	30- 34
5	من نجم شمال إفريقيا إلى حزب الشعب: نشاط التيار الاستقلالي 1926- 1939م - القسم الثاني –	35- 41
6	جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: نضالها السياسي ودورها الثقافي والاجتماعي – القسم الأول -	42 - 45
7	جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: نضالها السياسي ودورها الثقافي والاجتماعي – القسم الثاني -	46 - 52
8	التيار الإدماجي: أفكار ومواقف ونشاطات	53 - 59
9	التيار الشيوعي وموقعه ضمن الحركة الوطنية: نشاطات ومواقف	60 - 68
10	الحركة الوطنية وتحولات الثلاثينيات	69 - 76
11	الجزائر والحرب العالمية الثانية: أصداء وتحولات	77 - 80
12	مجازر الثامن ماي 1945م وتداعياتها	81 - 89
13	إعادة بناء الحركة الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية	90 - 93
14	من المنظمة الخاصة إلى ظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل	94- 98
البيبليوغرافيا		99- 103
الفهرس		104